13 me Année No. 610

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi - 12 - 3 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦١٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المجـــاهد الشهيد !

كنت فى الريف ليلة نعى الناعى الزعيم الشهيد أحمد ماهر باشا. وكان من امتحان القدَر لصبرى أن يروِّعنى هــذا النبأ الفاجع الفاجئ وأنا فى وحدة من الناس ووحشة من الطبيعة ، لا أرى ولا أسمع ولا أحس غير وكيف السحاب وزفيف الريح وشفيف البرد ، فأقبع فى الغرفة قبوع القنفذ ، وأنشر فكرى فى معانى هذا الرزء الوطنى الفادح ، أسبر غوره ، وأتقصى أطرافه ، فأشعر بثقله كله يبهظ نفسى ويصدع قواى ، فأستكين للجزع وأستسلم للشجون !

ويتمثل لعينى منظر الصريع المسجَّى على فراشه الدامى ، وحوله ابنته وزوجته وإخوته هلعين مشدوهين لا يكادون يصدقون أن هذا الجسد الهامد هو رجلهم الذى تركهم منذ هنيهة وقدرته فوق الأحداث ، وهيبته طى القلوب ، وذكره ملء الأسماع ، وعمله حديث الألسنة ، وأمله سعة الدنيا ، فينفر عنى النوم ، ويطول علىَّ الليل ، ويهون فى نفسى الحياة !

وفى الصباح الباكر من يوم الأحد كان القرويون يتناقلون النبأ العظيم ، وعلى كل وجه سهوم الحزن ، وفى كل قلب لهيب الحسرة ؛ كأنما وشجت بهم جميعاً قرابة الفقيد ، فمصابهم فيه واحد ، وحزنهم عليه مشترك . وتلك ظاهرة اجتماعية لم يسجلها مرصد التاريخ من قبل أحمد ماهر إلا لسعد زغلول . وتعليل هذه الظاهرة أبين من أن يُبين ؛ فقد كان ماهر كما كان سعد زعيماً شعبياً تألق اسمه فى سطور تاريخنا الحديث تألق النجم الهادى ، وتردد ذكره فى حوادثه الجُلَّى تردد النشيد الحماسى على أفواه الجند ؛ وكان له ولرفيقه فى الجهاد وخليفته فى الحكم — أطال الله عمره — من فضل التدبير والتنظيم والفعل ، ما كان لرئيسهما الخالد من فضل التنبيه والتوجيه والقول . ثم كان ظهور سعد للزعامة حين أبطرت الحرب الماضية نفوس الغالبين ، فسطت قوة الغالب على حق الوطن ، وسيطرت إرادة المحتل على رغبة الأمة ، وتطامنت الرءوس فلا ترتفع ، وانعقدت الألسن فلا تنطق ، فتميز واشتهر بشجاعته وكتابته وبلاغته وقدرته . وكان ظهور ماهر للزعامة حين أضلت الحرب الحاضرة عقول الحاكمين والمحكومين ، ففسدت الأخلاق ، وماتت الضمائر ، وتحكمت الشهوات ، وانتهكت الحرمات ، وخسّت المطامع ، فتميز واشتهر برجولته وصراحته ونزاهته وحزبته .

كلا الزعيمين كان رجل الساعة فى وقته ، وحديث الأمانى لقومه ؛ ذلك لدعوة الإيقاظ والثورة احتجاجاً على صلح كفر بالعدالة ، وهذا لدعوة الإصلاح والوحدة استعداداً لصلح يؤمن — كما يقولون — بالحق ؛ ومن ثم كان الحزن عليهما حزناً شعبياً أحسه القريب والبعيد ، وأخلص فيه الخصيم والولى .

والحق أن الحزن على الفقيد الشهيد قد غزا القلوب الغُلف

والأكباد السود ، فما ظنك عن يعرفونه من كثب ، أو يمتون إليه بسبب ، أو يقرون له بفضل ؟ والإقرار بفضل أحمد ماهر قد بلغ حد الإجماع ، إن لم يكن من جهة كفايته فمن جهة خلقه . والخلق في الرجل السياسي هو المزية التي تجزى عما عداها ، والثروة التي لا يبلغ العلم والمال والسلطان مداها . وأخلاق أحمد ماهر كانت أخلاق الرجل الذي يعده القدر ليرفع أمته إلى الذروة ويدفعها إلى الأمام . كان أكرم الله مثواه وورد بالرحمة ثراه ، مؤمناً بما يدعو ، مخلصاً فيما يعمل ، صريحاً فيما يقول ، جريئاً على ما يتقدم ، عفيفاً عما لا يحل . وتاريخه كله مصداق لأصالة هذه الصفات النادرة فيه . جاهد في استقلال بلاده حق جهاده ، ففكر وقدر ، ثم جهز ودبر ؛ وترصدته العيون ، وانفجرت من حوله المخاطر ، وأشفى به الإقدام على هوة الموت ؛ فما نكص ولا وهن ولا استكان ، ولم يكن يومئذ للمجاهدين أمل في منصب ، ولا رجاء في حكم .

ورأس مجلس النواب في حكومة الوفد فتجلت خلال الديمقراطية فيه : كان الوفد عنده أصغر الأحزاب حين يتعصب لغيره منه ؛ وكان رئيس الحكومة عنده أضعف النواب حين يطبق (اللائحة) عليه ؛ وكان الدستور قسطاسه المستقيم لا يصدر إلا عنه ولا يرجع إلا إليه .

وتولى المعارضة حيناً من الدهر ، فكان عف اللسان عن الهجر ، عف الضمير عن الفجر ، عف الفكر عن المغالطة ، عف النفس عن الخديعة ؛ يعالن بالمخالفة ويعتمد في إعلانها على الصدق والجد ، ويصارح بالتهمة ويستعين على إثباتها بالحق والمنطق ، وينفرد بالرأي ويجعل له من قوة إيمانه وثبات جنانه السند الذي لا يهي والدليل الذي لا يدفع . ومواقفه في (المجلس) و (القصر) لا تزال عطر الأفواه والأندية ، فلا حاجة إلى ذكرها .

ثم رأس الحكومة ، والخصومة الحزبية على أقبح ما تكون عنفاً وحدة ، والأخلاق الاجتماعية على أسوأ ما تكون اعتلالاً وردة ، والسياسة الدولية تتمخض عن أحداث جسام ستغير أوضاع الأرض وتبدل أنظمة الحياة ؛ فساسها بالصراحة والسماحة والحرية والعدل ، فمكن لكل ذي رأى أن يرى ، ولكل صاحب قلم أن يكتب ؛ ومهد لائتلاف القلوب واتحاد الكلمة بالمسامحة لاستلال ما في النفوس من سخيمة ، وبالمشاورة لتهوين ما في المعارضة من خلاف ، وأوشك أن يقول لنفسه : « عدلت فأمنت فنمت يا عمر » ، لولا أن الخوارج لا يزالون أحياء ، وأن أبا لؤلؤة لا يزال له في مصر أبناء ! وهكذا تجرى تصاريف القدر بما غيب عن ابن آدم علمه ، فذهب أحمد كما ذهب عمر صريع جنون أو فتنة . ولو كان أحمد أو عمر أو سائر الأسماء العظمى علما على رجل لسان فيه الخطب وتيسر عنه العزاء ، ففي كل ساعة من ساعات الليل والنهار تبتلع القبور ألوفاً من الأنفس فلا يعقبون فراغاً ولا دهشة ؛ إنما هو علم على ثروة ضخمة من الخلق والعلم والمواهب والتجارب عمل في تكوينها مع الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة وأحوال مختلفة ، حتى أصبحت قوة في طاقة الإنسانية وقطعة من ثروة العالم . ففقدها يحدث في سير الحياة من الخلل ما يحدثه فقد الضرس الصغير في الدولاب الكبير . ذلك الخلل هو الفراغ الذي يحسه الناس بموت العظيم . وعلى مقدار العظمة يكون اتساع الفراغ . وإن الفراغ الذي أحدثه في صف القادة مصرع أحمد ماهر فراغ واسع عميق . وكم من فراغ مثله في نواحي الحياة المصرية أودى الزمن بشاغليه ، ولم يستطع شغله بأمثالهم ، فاضطرب السير وأبطأ التقدم .

نحن فقراء إلى الرجال ذوى الخلق والكفاية ، وليس لنا وا أسفاه في توفيرهم حيلة ، لأنهم من صنع الله لا من صنع المدرسة ، ومن أثر الأسرة لا من أثر البيئة . وأمثال الأسرة الماهرية في الشرق قليلة ؛ أنجبت رجالا تميزوا على نظرائهم بأخلاق الرجولة . شق كل واحد منهم طريقه إلى المجد بنفسه ، ثم ساروا إلى غاياتهم في طرق متوازية لا تتلاقى . وعهدنا بالأسر الكبيرة إذا سما فرع من فروعها وغلظ تسلقه الآخرون كما يتسلق اللبلاب جذع النخلة . هم يعملون للمجد أكثر مما يعملون للعيش ، ويبذلون للناس أضعاف ما يبذلون للنفس ؛ فهم في العظماء لا في الأغنياء ، وفي معنى السماء لا في حقيقة الأرض ! فما أجدر هذه الأسرة أن تدرس لتكون لأسرنا قدوة ! وما أخلق الشباب أن يتخذوا لهم من رجالها أسوة ! وما أحق مصر أن تجزع جزع الثكلى على من يعز الصبر عليه ويستحيل العوض منه !

احمد حسن الزيات

يوحنا الدمشـــــقى

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد على

عجيب أمر أولئك المسلمين ! كانت صدورهم والله رحبة أرحب من صدور أهل القرن العشرين . هذا يوحنا الدمشقى "John. of Damascus" أحد آباء الكنيسة اليونانية وأحد كبار القديسين يطعن فى عقيدة المسلمين ويؤلف الكتب فى الرد عليهم ويجادل علماءهم فى صحة دعوى النبى العظيم ، وهو مع ذلك موظف من كبار موظفى بلاط أمير المؤمنين ، ورجل من ذوى الحل والعقد فى دمشق عاصمة خليفة رسول رب العالمين .

عاصر يوحنا الدمشقى أو منصور بن سرجيوس "Sergius" المعروف « بينبوع الذهب » الخلفاء الأمويين وجالسهم وعمل لهم فى دولتهم وكانت له دالة عليهم[١]، كما كانت لوالده «سرجيوس» حرمة فى نفوس العرب ومنزلة انتقلت إلى ابنه من بعده . كان سرجيوس هذا من الموظفين المشهورين فى العهد البيزنطى ومستشاراً مالياً معروفاً ، شهد الفتح الإسلامى لسورية وظل محافظاً على منصبه هذا حتى فى الإسلام[٢] . ولعله كان موظفاً فى عهد عبد الملك بن مروان[٣]

أما ولده يوحنا فلقد كان من المقربين إلى الخليفة يزيد بن معاوية والأثيرين عنده . ولما توفى والده خلفه فى منصبه المالى الكبير وظل فى هذه الوظيفة حتى خلافة هشام (٧٢٤ — ٧٤٣) إذ ترك الدنيا والمركز الحكومى معا لينصرف إلى إعداد مايلزم

(١) راجع The Encyclopaedia Britannica 14. ed val. 13. p. 102. كذلك كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعى بيروت ١٩٢٤ ص ٢١٧ .

(٢) راجع Hitti, History of the Arabs p, 246 . ولكنه يقول كان جده منصور بن سرجيوس والصحيح أن منصوراً هو اسم يوحنا العربى وأن سرجيوس هو اسم والده . راجع دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٤ ج ١٣ ص ١٠٢ وما بعدها .

(٣) Becker, Islam Studies val g p 434

لحياته الثانية ، الحياة الآخرة فى دير من أديرة فلسطين[١] .

ولم تصرف الوظيفة وجلالها يوحنا عن العلم والكنيسة التى كونته وصقلت عقله . بل على العكس من ذلك اتخذ الوظيفة وسيلة للكنيسة والدين . وسيلة يتقرب بوساطتها إلى الرؤساء والزعماء ليخفف من شدة حدتهم إن كانت هنالك حدة ضد المسيحيين عامة وضد الأرثوذكس وضد البيزنطيين على الأخص ، ولذلك كان رسولا سياسيا ودينيا فى بلاط الخليفة فى نفس الوقت[٢] . وقد عرف البيزنطيون ما حصل عليه قديسهم هذا من منزلة فى بلاط « ملك العرب » المسلمين « Saracens » ولا سيما رجال الدين منهم وساسة الحكومة فكلفوه بمهمات صعاب مختلفة ووسطوه لحل مشاكل دولية معقدة . حتى تصوروا أن مركزه فى سورية كان يضاهى مركز الخليفة بدليل إغداقهم عليه الألقاب التى كانوا يلقبون بها عادة خلفاء المسلمين ، ونعتهم إياه بالنعوت التى كانوا ينعتون بها عادة آل أمية ملوك الشام[٣] .

ونال يوحنا من تقدير رجال الدين والكنيسة ما ناله من تقدير الدولة البيزنطية وجماعة الحكومة . نال لقباً عظيما هو لقب « قديس » ولقب بلقب آخر جميل اللفظ والمعنى هو لقب « يوحنا ينبوع الذهب »[٤] وخصصت له الكنيسة الأغريقية يوم ٤ دسمبر ويوم ٦ مايو ليكونا عيدين خاصين بهذا القديس[٥] . الذى برع فى علم المنطق والفلسفة وفى الثقافة اليونانية ، والذى اتخذ من المنطق سلاحا يدافع به عن الكنيسة ، والذى فلسف الكنيسة الشرقية وأخضع المعارف الأغريقية الوثنية لحكم سلطان الدين المسيحى[٦]

ووهب الله صاحبنا بصراً فى العلوم الزمانية فاق بصره فى العلوم الدينية . برع فى علوم زمانه وتقدم على أقرانه وخلانه . وألف كتابه الشهير المعروف باسم « ينبوع الحكمة » اقتصر فى القسم الأول منه على محاورات أرسطو . وقد جمع العلامة لوكيان

(١) Hitti. p, 246

(٢) Islam Studies vol 1 p, 434 M. 94 449.

(٣) راجع Islam Studies. vol 1 p, 434 وكذلك مبارى M. 94 449

(٤) The Encycl Brit. vol 13 p, 102 Harnacks, History of Dogmatroversy, IV p, 322

(٥) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص ١٠٢

(٦) Textbook of the History of Philosophy, p, 227

تآليفه اليونانية ونشرها فى « مجموعة الآباء اليونان »[1]. والعلامة الفرنسى « لوكوين » Le Quien[2].

وهو بجملته وتفصيله مرآة صافية للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية فى معلوماتها ومعارفها فى ذلك العهد . وبحكم مقامه فى الخط الأول من خطوط القتال بين الإسلام والنصرانية اضطر إلى دراسة الأسلحة التى شهرها المسلمون على المسيحيين وعلى التنقيب فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول وفى سيرة النبى وأصحابه من الأنصار والمهاجرين لعله يجد نقصاً أو ضعفاً يتخذه هدفاً يهاجمه أو ركناً يبنى عليه خطة هجومه على المسلمين بدون شفقة أو رحمة وهوادة .

بهذه الروح اعتكف يدرس القرآن الكريم والحديث النبوى وهو فى عصر كان فيه أصحاب رسول الله أحياء يرزقون ، حتى إذا ما حفظ القرآن وما شاء من أحاديث انطلق كالأسد يزأر فاتحاً فكيه يريد موضعاً سهلا يغرس فيه أنيابه من جسم المسلمين .

بتلك الروح صار يفلى آيات القرآن الكريم وينبش فى ثنايا أحاديث الرسول وأخبار أصحابه من المهاجرين والأنصار لعله يعثر على ذلك الموضع السهل الذى يهجم منه على الإسلام ، أو يمكن الطعن فيه بسلاح المنطق اليونانى الذى لم يتمرن العرب عليه ولم يكن لهم به خبرة أو إلمام ، والذى صوّبه الوثنيون إلى النصارى فمضى مدة فى جسم الكنيسة حتى إذا ماتعلمه رجال الدين استخدموه لمحاربة خصوم الدين . وفى الفصل ١٠١ من رسائله وفصوله (بالآرامية، ميامى) ، وهو الفصل الذى عنونه بهذا العنوان (De Hearesibus) ، وفى مناظراته الكثيرة معلومات غزيرة تدل على اطلاع واسع على تاريخ المسلمين[3] .

استشهد مثلا فى الفصول التى كتبها دفاعاً عن المسيحية التى كانت تحتضر فى سورية ومصر وفلسطين وفى المناطق العربية الأخرى بآيات من القرآن الكريم وبكثير من الأحاديث لإثبات وجهة نظره ولمناقشة المسلمين بتلك المصادر فى صحة دعواهم على طريقة استخدام الكليات والجزئيات والمقدمات والنتائج والحوار والمناظرة .

وبالنظر إلى جهل أبناء دينه بأسباب الجدال الدينى وبالبراهين العلمية المنطقية فإنه وضع لهم كتابا فى المناظرة على طريقة السؤال والجواب على هذا النسق : « إذا سألك العربى كذا فأجبه بكذا وليس بكذا »[1] ، وشدد على إخوانه بوجوب حفظ هذه المحاورة واتباعها حرفيا وشدد فى تحريم مبادرة العربى بالسؤال خوفا من الزلل والوقوع فى مهاوى الضلالة ، ومن الارتباك الذى قد يؤدى إلى تغلب العربى على المسيحى فى النهاية .

وهذه الرسالة حوار (Dialogue) بين عربى مسلم وبين مسيحى جمع فيها أكثر ما كان يدور فى خلده وفى خلد الجدليين من أسئلة ومن أجوبة ومن فروق بين الديانتين . خذ مثلا لذلك ما جاء فى طبيعة المسيح . قال : « إذا سألك العربى ما تقول فى المسيح ؟ فقل له إنه كلمة الله . ثم ليسأل النصرانى المسلم : بم سمى المسيح فى القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشىء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[2]. فإذا أجاب بذلك فاسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة أوغير مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح، فإن قلت ذلك فسيفحم العربى ، لأن من يرى هذا الرأى زنديق فى نظر المسلمين»[3].

وفى موضع من مواضع الرسالة يجيب على اعتراض المسلمين على المسيحيين فى قضية عبادة الصليب وتقديسه بقوله : « أنتم تنكرون علينا تقديس الصليب وهو من خشب ، فى حين أنكم تقدسون حجراً أسود هو رأس« أفروديت » Aphrodite»[4] . ثم يستمر فيقول : « وتدعون بأنكم إنما تقدسون هذا الحجر الأسود لأن ابراهيم الخليل على زعمكم كان قد اضطجع عليه أو

(١) دائرة المعارف البريطانية جـ ١٣ ص١٠٢ كذلك الأب لويس شيخو ص ٢١٧ أيضا Migne, Patrol Greac XCIV (424—489)
(٢) Le Quien 2 vol, fal, Paris 1 712
(٣) راجع ميامى ٥ ff 1335 ff 96 1585 M 94 كذلك Islam Studies p, 434 f vol 1

(١) Islam Studies vol, 1, p, 435 دائرة المعارف البريطانية جـ ١٣ ص ١٠٢ J, Hell, The Arabic Culture, p, 75
(٢) سورة النساء آية ١٧٠
(٣) الترجمة نقلا عن كتاب تراث الاسلام جـ ١ ص ٢٤٧ . راجع أيضاً ميامى ٥ ، وكذلك Islam Studies vol , 1, p, 437
(٤) كان اليونان يزعمون أن العرب كانوا يعبدون إلهين هما « افروديت » و « باخوس » وظن صاحبنا أن الحجر الأسود هو رأس أحدهما وهو افروديت . راجع تاريخ هيرودوتس M, 94, 709

لأنه ربط به الناقة حينما همّ بذبح اسحاق . وتسخرون منا لأننا نقدس الصليب الذى صلب عليه سيدنا عيسى المسيح»[١]، وقوله هذا ظاهر البطلان لم يأت فى القرآن الكريم ولا فى الحديث الشريف[٢].

جاء فى القرآن الكريم : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لنى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا[٣] »وهذا معناه عدم اتفاق وجهة نظر المسلمين مع المسيحيين فى دعوى صلب المسيح . وذهب صاحبنا مذهب المغالطة والجدل الصورى فعمد إلى التفسير وإلى الآية التالية مدعيا بأن فى «ولكن شبه لهم » غموضا تفسره الآية التى بعدها « بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما»[٤] وفى هذه الآية على زعمه من الاعتراف بصحة الصلب والصليب ما لا يخفى .

ثم يقول : « وتدّعون أيضا بأن الذبح ، أى ذبح ابراهيم لإسحاق ، إنما كان فى مكة ، ومكة بلد غير ذى زرع ، وهذا موضع لا ينطبق عليه ما جاء فى التوراة ، وهو كتاب الله ، إذاً فمكة ليست بذلك المكان»[٥] . ومن الأبحاث الأخرى التى تعرض لها هذا القديس مبحث تعدد الزوجات ، وبعد أن ذكر نص الآية التى حددت عدد الزوجات[٦] ، وبعد أن ترجمها ترجمة حرفية[٧] بحث فى الطلاق ، وانتقل إلى زواج النبى بزينب وتطليق زيد لها[٨] ، ثم تحدث عن « التجحيش » بعد الطلاق الثالث[٩] وعن قوله تعالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين»[١٠] .

وبحث فى قضية عويصة ، هى قضية حرية الإرادة والجبر والاختيار« مشكلة القدر » ، وكانت قضية القدر من أهم المشاكل

التى تعرض لها العصر الأموى لما كان لها من ارتباط بالوضع العام والسياسة فضلا عن الدين .

قسّم يوحنا العالم إلى فريقين : فريق دان بعقيدة « الجبر » والضرورة وهو فريق المسلمين ، وفريق دان بحرية الإرادة أو بالقول «بالاستطاعة» وهو فريق المسيحيين . وبعد أن ذكر أن المسلمين قاطبة كانوا يدينون بعقيدة « القدر خيره وشره من الله » . وذلك على عكس مدلول الكلمة والمعنى الذى خصصت به فيما بعد . قال : « إنهم إذاً بقولهم هذا ينسبون الشر والقبيح إلى الله » . ولماذا ؟ . يجيب على هذا الإعتراض بهذه الصورة . « هل يمكن أن يكون الله هو العلة والسبب والفاعل لكل شىء حتى المكروه ؟ يقول المسيحيون لا ، لأن الله لا يمكن أن يكون خالقاً للقبيح أو الشر — إذ يكون حينئذ ظالما! ومن المحال أن ينسب الظلم إلى الله . إن الله جل جلاله يجازى الظالمين والآثمين فكيف يجوز أن يجازى الله شخصاً أمر أن يقوم بعمل فقام به ، أو يكون العقاب فى الدنيا فضلا عن ذلك عقاباً موجباً ضد إرادة الله تعالى ، فالله أراد أن يكون ذلك الرجل شريراً فأصبح شريراً ومن الحيف إنزال العقاب بشخص لم يكن له فى العمل أى استطاعة أو اختيار»[١] .

يقول يوحنا بعد ذلك « وسيتعجب العربى من هذا القول ، وسيقول لك ولكنك أشركت من حيث لا تدرى ، وعلى المسيحى أن يجيبه فوراً ولكنك نسبت الظلم إلى الله من حيث لا تدرى . ثم ليباغت المسيحى المسلم بهذا السؤال : من خلق نطفة ولد الزنا فى بطن أمه ؟ سيقول المسلم : الله . وعلى المسيحى أن يرد عليه بقوله : إن الزنا عمل قبيح وهو فى حد ذاته شر ، فالله على قولكم إذاً ساعد على هذا الشر ، وهو أمر لا يليق بالله تعالى»[٢] .

ويجيب يوحنا على لسان المسيحى بهذا الجواب « إننا معاشر النصارى نعتقد بأن الله لم يخلق شيئاً بعد أسبوع الخلق الأول . وإنما أمر الله عبيده بعد ذلك بالاستمرار على التكاثر والإنتاج . فجعل فى صلب آدم أبى البشر قدرة الإنتاج وأصبح الإنسان منذ ذلك الحين منتجاً»[٣] .

(١) Islam Studies, vol I, p, 437, M. 94, 769
(٢) Islam Studies, p, 437 راجع المصادر الاسلامية
(٣) سورة النساء آية ١٥٦ .
(٤) سورة النساء آية ١٠٧ .
(٥) Islam Studies, vol, I, p, 437
(٦) راجع سورة النساء آية ٣ .
(٧) راجع وسط صفحة M, 94, 769,
(٨) سورة الأحزاب آية ٣٧ .
(٩) سورة البقرة آية ٢٢٩ .
(١٠) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(١) Islam Studies, vol, I, p, 440
(٢) M, 94, 1590 ff, Journal Asiatique, 57, 397
(٣) M, 94, 1593,

أسرار الشـــعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

ولنقرأ الآن صفحة أشد متعة ، تتعلق بأمر ذي شأن عند الأديب ؛ ذلك هو النقد ، نقد آثاره بنفسه ، ونقد الناس آثاره . والأدباء في هـذا الأمر مختلفون متباينون . فهذا تهيجه الكلمة الواحدة فيثور لأخف نقد ولا يرضى عنه ، وذاك لا يثـور ولا يحفل بما قيل . وهؤلاء أناس يستقبلون أروع الآثار بنقد لا نقد فيه ، وأولئك يستقبلون أهون الكتب بمدح وتقريظ . وكلٌ يكتب عن هوى في نفسه أو غرض لديه فيسف ولا يعلو . ويتجنى ولا يقـدّر ، كل ذلك لغرضه وحاجته . وقديماً قال الصوفيون « المرض في الغرض » .

اسمع النقد الذي استقبلت به قصيدة كيتز المسماة « آنديميون» Endymion أروع قصيدة لهذا الشاعر ، التي يقولون إنها تحوى أبياتا فرائد من الشعر الانـكليزي .

لقد كتب ناقد مجلة Quarterly Revieu يقول : لقد سرق هذا الشاعر أفـكار السيد هنت hunt (وهو صحافي وشاعر معروف) وادّعاها لنفسـه . ولـكنه كان أشد غموضاً منه ، وهو جامد الطبع ينحت من صخر ... »

فما ذا أبقى هذا الشاعر لـكيتز ؟ سرّاق أفـكار ، وجامد الطبع ينحت من صخر ! لم يبق له شيئا إذ ذاك . ولـكن الناقد يمضي ويمضي معه غرضه الذي دفعه إلى هذا النقد النث ، وتبقى القصيدة وحدها خالدة لروعتها وعظمتها .

وحين أصدر الشاعر الأميركي « ويتمن » ديوانه الخالد « أوراق العشب » قال النقدة عنه إنه مشابه كلام العوام ؛ مفعم بالحماقات ؛ وتطاول آخرون فقالوا ماليس يُقال .

على أن هذه الانتقادات ما أثرت في الشاعر ولا أبه لهـا . وظلّ يعمل حتى أدرك الثالثة والسبعين من عمره . أما كيتز المسكين ، فقد مات في السادسة والعشرين ، وكان من سبب موته يأسه الشديد حين قرأ ذلك النقد السخيف .

شتان بين هذين الشاعرين ! لقد أعرض ويتمن عما قالوه لأنه ليس من النقد في شيء ، ولأن النقد غـير السباب والتعريض . لقد كان عقله ذا سلطان على نفسه . أما كيتز فقد كانت نفسه الرقيقة أعظم من عقله ، فتغلب عليه اليأس ، وأضناه ما سمعه من سباب . وهكذا يكون النقد سبباً للاحياء ويكون أيضاً سبيلا للموت .

هذا النقد الذي قضى على كيتز ، وكاد يقضي على «اندرسن» هو الذي دفع إلى المجد كوتْه ، ولوثيس ، وكلودفارير ، وماترلنك .

ولنعد إلى شاعرنا كيتز . لقد ثار على النقاد جميعاً ، ولا شيء يؤلم حقاً كقراءة هذه الرسالة التي كتبها شلّي بهـذا الشأن إلى مدير مجلة « كوترلي روفيو » يخبره فيها « إن كيتز المسكين قد ألجيء إلى حالة لا تطاق من جراء تعسف الناقد وسوء تأتيه . لقد سبب له مرضاً أحسب أن الأمل ضعيف في شفائه منه . ولقد كتبوا إلى أن أولى علامات المرض تحاكي الجنون ، وأنهم جهدوا كثيراً حتى استطاعوا أن يمنعوه من الانتحار . وإلى ذلك فإن آلامه النفسية سببت انفجار وريد دموي في الرئة . وبدت دلائل السل المعوي لديه » .

فأي نفس ، هذه النفس الرقيقة ؟

والنقّاد في بعض الأحيان لا يفهمون ولا يقدّرون ، وقد يهرفون بما لا يعرفون . ولـكنهم ، على كل حال ، يكتبون وينتقدون . ربما رفعوا قصيدة لبيت ، وربما خفضوا كتاباً لمقطع ... لقد اتهم النقادُ هاردي طول حياته بأنه كان متشائما . ولـكنه لم يحفـل بمـا قالوا ولم يحاول أن يدفع عنه ما نسبوه ولـكنه ثار يوماً ، وقد بلغ الرابعة والثمانين من عمره ، عند ما نقده ناقد ، فـكتب يقول :

وظن يوحنا بأنه قد تغلب على المسلمين بهذا الجواب . وقد ردّد تلميذه ثيودور أبو قرّه الذي عاصر الخلفاء العباسيين هذه النغمة في الفصـول « الميامى بالارامية » التي ألفها في الرد على اليهود والمسلمين . وكأنك تقرأ في هذه الميامى النزاع الذي كان بين القدرية والجبرية أو بين المعتزلة والأشاعرة . تقرأ في الرسالة الأدلة والبراهين التي استعملها المعتزلة في خصامهم مع الأشاعرة والفرق الأخرى تماماً .

(البقية في العدد القادم) جواد علي

الأميرة علية بنت المهدي

١٦٠ — ٢١٠

للأستاذ سعيد الديوه جي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

غناؤها

ورثت هذا الفن الجليل عن أمها مكنونة التي غرست في نفسها الطرب منذ نعومة أظفارها فشبت مطبوعة على التلحين والغناء والعزف ، ولم تكن عُلية من المقلدات لغيرها في هذه الصنعة ، بل إن أشهر المغنين كانوا يسعون إليها ويأخذون عنها . وقد وضعت ثلاثة وسبعين صوتاً ، فكانت من أجمل الأصوات التي يتغنى بها في العصر العباسي . ذلك لأن الأبيات التي غنتها كانت صادرة عن روحها الشاعرة ، وهي أعلم الناس بمعناها ، فكانت أبدع الناس في مغناها . ولها بعض الأصوات كان يتغنى بها الكبير والصغير ، والسوقة والأمير ، والعالم والجاهل ؛ وانتشرت بين جميع طبقات الشعب ومنها الصوت التالي وهو من نظم (وضاح اليمن) في محبوبته (أم البنين) .

حتام نكتم حزننا وإلاما ؟ وعلام نستبق الدموع علاما؟
إن الذي بي قد تفاقم واعتلى ونما وزاد وأورث الأسقاما
قد أصبحت أم البنين مريضة أخشى عليها ما نقلوا على حماما

وإن شهرة أخيها إبراهيم في الغناء كانت مستمدة منها ، لأنها كانت كلما وضعت صوتاً استدعت إبراهيم وألقته عليه حتى يتقنه . ثم تأمره أن يعلم جواريه وجواريها هذه الألحان ، فكان إبراهيم يتولى تعليم الجواري . وأحدثت عُلية ميلا كبيراً إلى الفنون الجميلة بين أعضاء الأسرة المالكة ، كانت هي زعيمة الحركة وأخذ عنها أخوها إبراهيم وفاق كثيراً من أهل عصره حتى قالوا : « إنه لم يُرَ في جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلية وكانت تقدم عليه » كما كان أخوها يعقوب زامراً مشهوراً وأختاها تضربان على العود ضرباً فائقاً .

وقصرها كان أشبه بمدرسة فنون جميلة يتردد في جوه

« إني لأدهش من أنه ينبغي أن أذكِّر الناقد الأديب أمراً هو أول قواعد النقد ، أمراً كان عليه أن يعرفه كما أعرفه . إن أثر المؤلف يُنقد ويحكم عليه بالجملة لا بمقاطع مأخوذة عرضاً ربما تعارضت وتباينت ... »

ويتناول تينسون Tennyson مسألة السرقة الأدبية، فيقول:

« وربما صادفوا معنى واحداً عند شاعرين ، فيقولون هذا سارق وذاك مسروق منه ، مع أن العين البشرية تتأمل الأشياء نفسها في العالم كله ، فمن الطبيعي أن يتلاقى الشعراء ... » ويذكر أن أديباً صينياً كتب إليه ذات يوم يخبره أن بيتين في شعره وجدهما بألفاظهما ومعانيهما في قصيدة لشاعر صيني لم تترجم ولم تنقل إلى لغة من اللغات .

ويدلِّل تينيسون على عجز النقَّاد عن الفهم بقوله :

عزفت عجوزاً ، زوج صياد ، فقدت ولديها في البحر . فرأيتها في يوم عاصف تشير بقبضة يدها إلى البحر الهائج وتصيح :

« آه ! تستطيع أن تزأر وتغضب الآن ! فلشدَّ ما أبغض مرآك مظهراً أسنانك البيض .. »

قال : فلو أني ذكرت ذلك في قصيدة من قصائدي لنصح لي النقاد أن أصور تجارتي تصويراً طبيعياً لا خيالياً » .

ويضرب تينسون مثلا آخر فيقول :

« قمت برحلة إلى ألبيرنة ، وأنا في العشرين من عمري . فأعجبت بشلال عظيم يساقط من علو ألف قدم . فكتبت في كناشتي إنه يتساقط على روْد ، كأنه شُرُع من القماش الناعم الرقيق . »

فلما أخرجت ذلك للناس ، أعلمني ناقد ، أن هذا القماش الذي شبهت الشُرُع به هو نسيج يستعملونه في المسارح ، ليقلدوا الشلال المتساقط ، ثم أضاف « وإن السيد تينسون ليحسن صنعاً إن استوحى الطبيعة ولم يستوح المسارح » .

وبلغ تينسون الذروة من المجد ، وقد يعجب القارئ إذا علم أن أول مجموعة شعرية صدرت له بيع منها خلال سنة كاملة نسختان فقط بعد جهد وإغراء .

* * *

وبعد ، فهذي طُرَف من الأسرار .. فهل ترى أعذب من الأسرار؟

دمشق **صموع الزين الحجر**

ما أبدعته قريحة علية من الشعر ، وما وضعته من الألحان تزينها عزف إبراهيم وأختيه ، ومزمار يعقوب وترديد الجوارى ، كما أنها كانت فى أوقات فراغها تستدعى أخاها تطارحه الألحان أو تأمر الجوارى أن يعرضن أمامها ما أخذنه عنه . وكان الرشيد إذا نظم أبياتاً يبعث بها إلى مليل بنى العباس فتصوغ لها لحناً وتغنيه بها . أرسل إليها مرة هذين البيتين من نظمه :

يا ربة المنزل بالفرك ورية السلطان والملك
ترجى بالله من قتلنا لسنا من الديلم والترك

فصاغت فيهما لحناً جميلا . وللحضر عندها الرشيد أخذت تغنيه هى وإبراهيم أخوها يضرب بالعود ويعقوب يزمر والجوارى يرددن

علمت علية يوماً أن الرشيد قد غضب عليها بوشاية حاسد وهى من أعلم الناس بمعالجته . فنظمت ثلاثة أبيات وعملت لحناً فيها وألقتها على جوارى الرشيد وأمرتهن أن يغنين بها فى أول مجلس يجلسه فغنين :

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه من أن يكون له ذنب إلى أحد
كانت علية أبرى الناس كلهم من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدى

فطرب الرشيد طرباً شديداً ، وسأل الجوارى عن القصة فأخبرنه بها ، فبعث إليها فحضرت فقبل رأسها وسألها أن تغنيه هى، فأعادته عليه فبكى وقال لها « لا جرم أنى لا أغضب أبداً عليك ما عشت » ، وبلغها يوماً أن الرشيد وأخاه منصور يتحدثان فى جنة دار الخلد ، فاستدعت جاريتها « خلوب » المغنية ، وأمرتها أن تذهب إلى الرشيد وتغنيه هذا الصوت، وأن يضرب على غنائها بعود:

حيا كما الله خليلىّ إن ميّتاً كنت وإن حيا
إن قلتما خيراً ، فخير لكم أو قلتما غيّا ، فلا غيّا

أما تأثير غنائها فكان عظيما ، ذلك أنها كانت تمتاز برخامة صوتها ، وحسن توقيعها ، وتفننها وإبداعها فى كل ما تضع من الأصوات . دخل يوماً « إسماعيل بن الهادى » على « المأمون » فسمع غناءً أذهله ، فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعت ما أذهلنى ، وكنت أكذب من أرغن الروم يقتل طرباً ، وقد صدقت الآن بذلك . فقال له المأمون : ألا تدرى ما هذا ؟ قال : لا والله . قال : « هذه عمتك علية تلق على عمك إبرهيم صوتاً » .

شعرها

نشأت علية منذ نعومة أظفارها مطبوعة على قول الشعر ، فشبت متفننة فى قرضه ، وكانت آية فى الفصاحة والبلاغة . وقد ذكر « ابن النديم » أن لها ديوان شعر قد رآه . ولكن أين هذا الديوان ؟ لا شك أن أيدى البلى أبلته كما أودت بصاحبته . يقول الصولى « إنى لا أعرف لخلفاء بنى العباس بنتاً مثلها ، على أن لها شعراً حسناً جدا ، وصنعة فى الغناء حسنة كثيرة » وما وصلنا من أشعارها يدل على أنها صادرة عن قلب شاعر ونفس صافية وقريحة فياضة وروح نشأت على حب الفنون الجميلة ، فكان كل ما صدر عنها جميلا ، ولهذا كان شعرها مما يغنى به فى صدر الدولة العباسية لرقته وانسجامه ووقعه فى النفس . ومما يدل على انطباعها على قول الشعر أنها كانت تعبر فى شعرها عن الكثير من أغراضها حتى المراسلات الخصوصية .

كانت علية جميلة فى صورتها ، جميلة فى نفسها ، جميلة فى صوتها ، تحب الجمال وتألف الجميل ، ففاض هذا الجمال فى شعرها ، فكان لؤلؤاً منضوداً تزين به تيجان الخلفاء ، ولشعرها وقع فى النفس وروعة فى القلب ، لأنه صادر عن قلب شاعر فياض .

وعلية تقول الشعر لنفسها تعبر به عما يخالجها من الأهواء والنزعات وما يجيش بصدرها من حب وإجلال لأهلها ، وما توحيه الطبيعة من مناظرها الخلابة ، أوما تحدثه فيها الحضارة من التنسيق والترتيب . وهى أصدق شاعرة عبرت فى شعرها عما كانت تعانيه المرأة فى ذلك الوقت من التضييق والإرهاق ، وما كانت تقاسيه من لواعج الشوق والهيام فى سجنها الضيق وأغلالها المادية، وما كانت تولده هذه من انفجار عظيم تردد صداه بغداد . فالكثيرات من البائسات اللاتى أجسادهن مكبلة فى القصور وأرواحهن كانت تتمنى القبور :

بتّ قبل الصباح إن بت إلا فى إزار على فراش حرير
أو يحلْ دون ذاك غلق قصور كم قتيل من الهوى فى القصور ؟

ونجد فى شعرها ما كان يدور بين ربات الخدور من لغات العيون والرموز والإشارات تعبيراً عما تكنه الصدور من الحب والشوق ولا تقدر الألسن أن تبوح به :

تكاتبنا برمز فى الحضور وإيماء يلوح بلا ستور
سوى مقل تخبر ما عناها بكتف الغيب فى ورق السطور

أما أشعارها الكثيرة فهى فى العشق والهوى والحب وأسبابه

ووصف حال المحب ودلال المحبوب وظلمه وهجره . وقد أجادت في هذا الباب وأتت بما لم يتهيأ لغيرها من الشاعرات ، بل إن الشعراء أخذوا يقتفون أثرها ويسلكون سبيلها في تعليلاتهم فهي تقول :

ليس خطب الهوى بخطب يسير لا ينبئك عنـه مثل خبير
ليس خطب الهوى يدبر بالرأ ي ولا بالقياس والتدبير
إنما الحب والهوى خطرات محدثات الأمور بعد الأمور

ولعلية غزل رقيق يستهوى القلوب ، وأشعارها في هذا الباب كثيرة منها قولها :

أتانى عنك سبك لى فسبي أليس جرى بفيك اسمى فحسبي
وقولى ما بدا لك أن تقولى فـماذا كله إلا لحبى
فما زال المحب ينـال سباً وهجراً ناعماً ومليح عتب
فصاراك الرجوع إلى مرادى فما ترجين من تعذيب قلبي
تشاهدت الظنون عليك عندى وعلم الغيب فيها عند ربى

وعلية إذا مدحت فانها تمدح أخاها الرشيد وابنه الأمين ، وهى بهذا تجزل اللفظ وتحكم المعنى وتوفى الممدوح حقه — كيف لا ؟ وهى ما تمدح إلا نفسها فتعبر عما يكنه صدرها لأخيها من الحب والاحترام وما تملأ قلبها من الفخر بآبائها وأجدادها العظام، وإذا زارها الرشيد استقبلته بقولها :

قـل للامام ابن الإما م مقال ذى النصح المصيب
لولا قدومك ما انجـلى عنا الجليل من الخطوب

ثم تنثنى فتفخر بالأمين سليل بنى العباس ابن زبيدة والرشيد فتقول :

يابن الخلائف والجحاجحة العلى والأكرمين مناسباً وأصولا
والأعظمين إذا العظام تفاخروا بالمكرمات وحصلوا تحصيلا
والقائدين إلى العزيز بأرضه حتى يذل عساكرا وخيولا

وإذا علمت أن الرشيد قد استزار أختيها ولم يكتب لها كتبت إليه تعاتبه :

مالى نسيت وقـد نودى بأصحابى
وكنت والذكر عنـدى رائح غادى
أنا الذى لا أطيـق الدهر فرقتكم
فرق لى يأبى من طـول إبعادى

وإذا ودعت أخاها الرشيد فانها تودعه بشعرها وقلبها فتقول :

لاجزن إلا دون حزن نالني يوم الفراق وقدغدوت مودعاً
فاذا الأحبـة قد تولت عيرهم وبقيت فردا والهـاً متـوجعاً

وإذا طالت عليها أيام رمضان وهى مشغولة بصيامها وقيامها تذكرت أيام لهوها ومرحها وحفلاتها التى كانت تقيمها فى قصرها وحنت إلى ذلك بشعرها :

طالت علىّ ليـالى الصـوم واتصلت
حتى لقـد خلتها زادت على المـدد
شوقا إلى مجلس يزهو بساكنه أعيذه بجلال الواحد الصمد

وإذا ما رأت تقصيراً من « طغيان » خادمتها أو خيانة من وكيلها « سباع » فانها كانت تهجوهما هجواً لاذعاً مقذعاً لا يخلو من الفحش . ومن أهاجيها الجيلة أنها حضرت حفلة زفاف ورأت مخنثاً قد تزيا بزى النساء وخضب يديه وكحل عينيه ، وحمر شفتيه ، وهو ينقر بالدف ويغنى ويرقص والنساء قد حففن به يصفقن له ويضحكن عليه وهو مسرور بعمله هذا :

ومخنث شهد الزفاف وقبله غنى الجوارى حاسراً ومنقبا
لبس الدلال وقام ينقر دفه نقراً أقر به العيون وأطربا
إن النساء رأينه فعشقنه فشكون شدة مابهن فأكذبا

وإذا كتبت إلى صديقتها ولم يأتها الجواب كتبت إليها تعاتبها :

ياخلتى وصفيتى وعـذابى مالى كتبت فلم يرد جوابى ؟
خنت المواثق؟أم لقيت حواسداً يهوين هجرى ؟ أم مللت عتابى؟

وإذا جلست فى حفلاتها ولم تجد من تحب وتهوى شعرت بألم الفراق ولوعة الاشتياق زفرت من قلبها :

ياموري الزند قد أعيت قوادحه اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس
ماأقبح الناس في عيني وأسمجهم إذا نظرت ولم أبصرك فى الناس

وإذا طال غياب الرشيد عن عاصمته بغداد وخلت حفلات علية منه شعرت بفراغ واسع ونقص فى سرورها فلا يكمل إلا به كتبت تعاتبه :

هرون ياسؤلى وقيت الردى قلبي بعتب منك مشغول
مازلت منذ خلفتنى فى عمى كأننى فى النـاس مخبول

ولعلية قلب ضعيف لايحتمل القهر والهجر ، فكانت تستعين بدموعها فى تخفيف أحزانها وأشجانها وتروح بها عن نفسها وتنفس كربتها :

بليت بقلب ضعيف القوى وعين تضر ولا تنفـع
إذا ماذكرت الهوى والمنى تحدر من جفنها أربع

وكنت تراها تتنقل فى حدائق قصرها الواسعة ، تمتع نظرها

بأزهارها وأشجارها وتصغى إلى ترديد أطيارها وخرير مياهها وحفيف أشجارها ، فينعكس هذا فى نفسها فتردده شعراً ، تقف على الزهرة تشمها وتناجيها ، وعلى الساقية تردد معها الألحان ، وأمام الحمام تشاركه السجع ، ومع الهزار تشاركه التغريد . ومن أوصافها الجميلة أنها رأت ريحانة تميل مع الريح فمال قلبها إليها فاقتطفتها وقالت :

كأنها من طيبها فى يدى   تشم فى المحضر أو فى المغيب
ريحانة طيبتهــا عنبر   تسقى مع الراح بماء مشوب
عرّوتهامن ذا ، وتسقى بذا ،   ممزوجة بالساح طيباً بطيب
تلك التى هام فؤادى بها   ما إن لدانى غيرها من طيب

هذا هو الشعر الحقيقى الصادر عن شعور خالص لا أثر فيه للتكلف ولا للمبالغة والتهويل . ولها أبيات معانيها مبتكرة ، وتجرى مجرى الأمثال يتناقلها الناس عصراً بعد عصر منها :

رأيت الناس من التى   عليهم نفســه هانا
فزر غبا تزد حبـــاً   وإن جرعت أحزانا

وقولها :

ماينظر الناس إلى المبتلى   وإنما الناس مع العافيه

وقولها :

الحب أول مايكون جهالة   فاذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

عفافها

كانت علية مثالا صالحاً ، وقدوة حسنة للمرأة المسلمة التى تعبد ربها حق عبادته ولا تنسى نصيبها من الدنيا ، ذات صيانة وأدب ، شاركت الشعب فى لهوه ومرحه وأناشيده ، وترفعت من مفاسده ورذائله . قال أبو الفرج الأصفهانى : « كانت علية حسنة الدين ، وكانت لاتغنى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فاذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تلتذ بشىء غير قول الشعر » فعلية كانت ترفه عن نفسها بطرق وأساليب تبتكرها هى ، تدفع بها سأم البطالة والعزلة ، فتمرح وتلهو وتلعب دون أن تفقد شيئاً من كرامتها أو أن تتعدى حدود ربها وهى تقول : « ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل عوضاً منه ، فبأى شىء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته » فهى ترى أن أسباب اللهو المباح كثيرة ، ولكن المرأة الضيقة الصدر القليلة العقل ، تتبع كل ناعق ، وتجيب كل داع ، فتقع فى شرك التهتك والعصيان . ومما يدل على ثقتها بنفسها واعتدادها بشرفها وطهارة أخلاقها أنها كانت كثيراً ماتقول « اللهم لاتغفر لى حراما أتيته ، ولا عزماً على حرام إن كنت عزمته ، وما استغرقنى لهو قط ، إلا ذكرت سبى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصرت عنه ، وإن الله ليعلم أنى ما كذبت قط ، ولا وعدت وعداً فأخلفته » هـذه هى أخلاق درة بنى العباس الفريدة التى أرضت ربها بعبادتها ، وخففت عن نفسها بمرحها العفيف الطاهر . وهذا ما يجب أن تكون عليه المرأة الصالحة التى تتبع كتاب الله وسنة رسوله « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه »

الموصل **سعيد الديوه جى**

النابغون فى أوطانهم

حديث عن البحترى

الأستاذ محمود عزت عرفه

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

... وللبحترى فى هذا الشأن حديث عجيب .

فقد كان أحد الذين ارتفعوا بشعرهم من حضيض الجهالة والخمول إلى ذروة النباهة والمجد . ولسنا نجد فى ديوانه على ضخامته مايشير به إلى حياته الأولى فى موطنه « مَنْبج » (١) سوى ماينص عليه من عداوة بعض أهله له ، رغم مايعود به عليهم — وعلى سواهم — من فضل المال والجاه ، والشفاعة لدى الخلفاء ، ورفد العفاة وفك العانين .. وذلك حيث يقول فى قصيدة له :

.. ومن الأقارب من يُسر بعيلتى ... سقَمًا ، وعزُّ حياتهم بحياتى
إن أبقَ أو أهلكْ فقد نلت التى ... ملأت صدور أقاربى وعداتى
وغَنيتُ ندمانَ الخلائفِ نابهًا ... ذكرى ، وناعمة بهم نشواتى
وشفعت فى الأمر الجليل إليهمو ... بعد الجليل ، فأنجحوا طَـلِباتى
وصنعت فى العرب الصنائع عندهم ... من رِفد طلاَّبٍ وفك عناةِ

وحظى البحترى عند المتوكل بأرفع المراتب وأسنى الدرجات فكان شاعره المقرب الأثير لاتندُّ عنه فى الحياة رغبة أو تبعد دونه أمنية .. ولكن شاء القدر مع ذلك ألا تزال نفسه تهفو إلى غَرَض ما ، فكان ينتابه القلق ويساوره الحنين إلى الإلمام بوطنه منبج ، ولا ينفك يهتف بالمتوكل مستحثاً إياه على قصد هذه البلاد كلما قصد دونها إقليما أو غشى موضعاً :

لو كنت أحسد أو أنافس معشراً ... لحسدت أو نافست أهل الموصل
غشى الربيع ديارهم وغشيتها ... وكلاكما ذو عارض متهلّل
فأضاء منهما كل فج مظلم ... بـكما ، وأخصب كل واد ممحل
فتى تخيم بالشآم فيكتسى ... بلدى نباتاً من نداك المسبل؟!

وكأنما شاء القدر — مرة أخرى — أن يلوح للبحترى بتحقيق أمنيته . فاضطرب حبل الأمور على المتوكل فى سامراء بسبب اتساع نفوذ الأتراك واستفحال خطرهم ؛ ولم يكن ليخفض من شوكتهم فى شىء قتله إيتاخ عام ٢٣٥ هـ ، وكان المدبر لقتلهم والمتولى كبر هذا الأمر فيهم . فصح عزم المتوكل على تغيير عاصمة خلافته والانحياز إلى دمشق ليكون بمنجاة من كيدهم وتطاولهم .. وغدا عليه البحترى — مستحسناً محبذا — يقول :

.. إن دمشقاً أصبحت جنةً ... مخضرَّة الروض عَذاة البراق
هواؤها الفضفاض غض الندى ... وماؤها السلسال عذب المذاق
والدهر طلق بين أكنافها ... والعيش فيها ذو حواش رقاق
ناظرة نحوك مشتاقةٌ ... منك إلى القرب ووشك التلاق
وكيف لاتؤثرها بالهوى ... وصيفها مثل شتاء العراق ؟!

وأنفذ المتوكل عزمه فى عام ٢٤٣ هـ ، فشخص إلى دمشق ونقل إليها دواوين الخلافة ، ووطن نفسه على المقام بها . فلم يكن عجيباً حينذاك أن نسمع البحترى يقول فى قصيدة له ، وكأنما هو يتنفس الصعداء بعد طول اللهفة وفرط الانتظار :

قد رحلنا عن العرا ... قِ وعن قطبها النكدْ
حبذا العيش فى دمشـ ... قَ إذا ليلها برد !
حيث يُستقبل الزما ... نُ ويستحسن البلد
سفرةٌ جدَّدتْ لنا ال ... لهوَ أيامُه الجدد
عزم الله للخليـ ... فة فيه على الرشَدْ

ويقول فى موضع آخر وهو يحاول تحسين الشام فى عين المتوكل ، وحضه على موالاة المقام بدمشق :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها ... وقد وفى لك مطريها بما وعدا

— ولعله يقصد نفسه بهذا المطرى الوافى بما وعد —

إذا أردت ملأت العين من بلد ... مستحسن ، وزمان يشبه البلدا
يمسى السحاب على أجبالها فرقاً ... ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلا ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا
كأنما القيظ ولَّى بعد جيئته ... أو الربيع دنا من بعدما بعدا

.. وذلك ضمن قصيدة فاخرة مطلعها :

العيش فى ليل (داريا) إذا بردا
والراح نمزجها بالماء من (بردَى)

على أن السياسة ليست شيئاً يخضع لأهواء الشعراء ؛ فما

---

(١) بلدة من أعمال الشام إلى الشمال الشرقى من حلب

تلبّث المتوكل بعد استقراره بدمشق إلا ريثما يعد عدته للرجوع إلى سرّ من را ، بعد أن شغب عليه الأتراك فيها وتحركوا فى طلب أرزاقهم ، وكانوا قد أوجسوا خيفة من انحيازه إلى الشام ، وتوقعوا أن يستعين عليهم بسلطان العرب هناك . . .

عاد المتوكل يزعم أنه استوبأ دمشق ، وفى صدره مما جرى غصة [١] ؛ وانهارت آمال أبى عبادة حتى ليبدو من المفارقات الغريبة أن نراه يهنىء المتوكل بهذا العود ، ويستحسن ماتم من إنفاذه فيقول :

لعمرى لقد آب الخليفةُ جعفرٌ ... وفى كل نفس حاجة من قفوله
دعاه الهوى فى سرّ من رآء فانكفا ... إليها انكفاء الليث تلقاء غيله
على أنها قد كان بُدّل طيبُها ... ورحّل عنها أنسُها برحيله
وإفراطُها فى القبح عند خروجه ... كإفراطها فى الحسن عند دخوله
وقد لبست بغداد أحسن زيّها ... لإقباله ، واستشرفت لعُدوله
ويثنيه عنها شوقه ونزاعه ... إلى عرض صحن الجعفرى وطوله [٢]

وقد أصبح تسارى أمل البحترى بعد هذا الحادث أن يلم بموطنه فى زيارات قصيرة خاطفة ، يواكبه فيها من ألطاف الخليفة ومبراته مايرضى غروره ، ويظهر لقومه منزلته وجاهه . وإنه ليخاطب المعتز [٣] فى ذلك ، وكان من أحظى الناس عنده ، فيقول :

هل أطلعنّ على الشآم مبجّلاً ... فى عز دولتك الجديد المونق ؟
فأرمّ خلة ضيعةٍ تصف امحها ... وألمّ ثَمّ بصبية لى دردق ؟
شهران إن يسرت إذنَ فيهما ... كفلا بألفة شملىَ المتفرق

وإن المعتز ليعرف هذا الشعور من نفس البحترى فيرثه ويكرمه ، ويحمله على الجرد العتاق إلى موطنه منبج ، حيث يلقى هنالك أهله ، ويتعرف حال ضيعته (الضائعة) كما يقول . والخليفة يُصحبه العطرف والهدايا تحملها عشرة من خيل البريد وفيها بدر المال وخلع الديباج ، وجوادان أصيلان : كميت وأبلق وسيف صقيل فى إهدائه تشريف وتنويه . . وفى ذلك يقول أبو عبادة :

تجانفَ بى نهجَ الشآم وطاعَ لى ... عنانٌ إلى أكناف منبج مطلقُ
أسرُّ صديقا أو أسوء ملاحياً ... وأنشر آلاء بطولك تنطق
حملتَ على عشرٍ من البرْدِ مركبى ... عجالاً عليهن الشكيم المحلق
وأكثرت زادى من بدور تتابعت ... لجُودك فيهن اللجيْنُ المطرق
ومنتسبانِ للوجيه ولاحقٍ ... كميتٌ يسر الناظرين وأبلق
ومن خلع فازتْ بلبساك فاغتدى ... لها أرج من طيب عَرفك يعبق
عليها رداءٌ من حمائل مرهفٍ ... صقيل يزلّ الطرفُ عنه فيزلق

وبوفاة أبى عبد الله المعتز عام ٢٥٥ هـ أفل نجم البحترى من سماء الخلافة فى سر من رأى . إذ لم يكن موضعه لدى المهتدى أو المعتمد — وقد خلفا المعتز على التتابع — بالموضع الذى يرضى طموحه ، أو يكافىء سابق منزلته لدى المتوكل وابنه . وكان الذى جرى من الأحداث على عهد المتوكل والمنتصر ثم المستعين والمعتز قد خلف فى نفس الشاعر أثراً من اليأس عميقا ، وجعله قليل الثقة بالناس وبالحياة . . يقول الشعر فى مناسباته لأن من واجبه أن يقوله لا لأنه متأثر بما يدور حوله ، وبدت عليه فى أخريات أيامه نزعة قوية إلى الانزواء فى بلدته يراقب منها تيار الحوادث فى صمت واعتبار . استمع إليه يخاطب أبا الصقر إسماعيل ابن بلبل — الذى وزر للمعتمد بين عامى ٢٧٢ و٢٧٨ هـ — فيقول:

بقيت ، فكائن جئت بادىء نعمة ... يقلّ السحاب أن يجىء برسيلها
وأعطيتَ طلاّب النوافل سؤْلهم ... فمن أين لاتعطى القصائد سولها ؟

---

(١) يقول المرحوم الخضرى بك فى محاضراته : بعد أن أقام المتوكل بدمشق أياما أظهر أنه استوبأ البلد ، لأن الهواء بارد ندى والماء ثقيل ، والريح فيها تهب مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامة الليل . وغلت فيها الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة فبارحها عائدا إلى سامراء . ويظهر أن الأتراك هم الذين حملوه على العودة .

(٢) من تصور سر من رأى ، أنشأه المتوكل عام ٢٤٥ هـ

(٣) المعتز « أبو عبد الله » ابن المتوكل ، يفصله من أبيه الخليفتان المنتصر والمستعين . ولم يكن للبحترى معهما كبير شأن .

صور فلسفية :

الفيلسوف المتوحد كيركجورد

(١٨١٣ – ١٨٥٥)

للأستـــاذ زكريا إبراهيم

كيركجورد فيلسوف دنمركى متصوف ، نشأت فلسفته فى حضن الدين ، وتكونت بفضل تجربته الروحية الخاصة وعزلته النفسية العميقة . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يحيوا حياة العزلة والتفرد وأن يحتملوا ما يجيء مع هذه الحياة من قلق وجزع ولهفة . ولم يكن كيركجورد فيلسوفا يتخذ من الفلسفة صناعة له ، أو عالماً لاهوتياً كل همه أن يشتغل باللاهوت ، وإنما كان أولا وبالذات ، إنساناً مشتعل الوجدان ، مشبوب العاطفة ، تشيع فى نفسه سورة القلق ، وتضطرم فى باطنه جذوة الألم ؛ يجتذبه العالم من ناحية ، وتؤرقه الرغبة فى القداسة "désir de la sainteté" من ناحية أخرى . وهو إلى هذا وذاك ، إنسان غنى فى مواهبه ، ثرى فى إيمانه ، عميق فى نظراته الصوفية . هو رجل متوحد انطوى على نفسه ، وعاش حياة أقرب ماتكون إلى حياة الأنبياء ، فاستطاع أن يتوصل إلى فلسفة مخالفة لكل الفلسفات التى كانت موجودة فى عصره ؛ فلسفة تعتبر وجود الذات هو وحده الوجود الحقيقى ، وترى فى عزلة الذات ، الحقيقة الوحيدة الثابتة . أما النزعات الفلسفية التى كانت موجودة فى عصر كيركجورد فقد نظر إليها فيلسوفنا نظرة معادية ، واعتبر فيها « سقوطاً » Chute للذات ، ومن ثم فقد هاجم الفيلسوف الألمانى هيجل مهاجمة عنيفة وحارب فكرته عن الروح المطلقة ، وحاول أن يفتقد الإيمان الضائع بالتحول عن عالم الفلسفة إلى عالم الدين .

وقد اتخذ كيركجورد كل ضروب التخفى والتستر ؛ حتى يستطيع أن يأمن عدوان خصومه ، فكان يطبع مؤلفاته موسومة

ووليت عمال السواد ، فولنى قرارة بيتى مدة لن أطيلها !

.. وهكذا لا يتشهى البحترى من جاه الولايات الذى يسبغه الوزير على خلصائه ؛ إلا أن يدعه يلوذ بقرارة بيته ، متجافياً بنفسه عن مزالق السياسة وفتنها بعد أن طال فى ذلك خبه وإيضاعه . وإنه فى موضع آخر ليطلب إلى الوزير أن يعتق (رقبته) بصرفه إلى بلده .

وقد شمل امتنانك كل حى فهل مَنٌّ يُفك به أسيرُ ؟
وأعتقت الرقاب فمر بعتقى إلى بلدى ، وأنت به جدير !

وما كان اعتزال البحترى فى منبج إلا شراً أجاءه إليه ماهو شر منه . ذلك أنه كان ودع أرغد عيشه وأطيب أيام حياته بتوديع عهد المتوكل الذى شهد بعينيه مصرعه الرهيب . .

وكانت فترة (المعتز) فى حياة البحترى أشبه شىء بخفقة المصباح الأخيرة حين يصارع الظلمات ولما تخمد منه الأنفاس .

ولعل أشد الأشياء على نفسه ما كان يعالجه من جفاف الحياة فى منبج بعد أن نعم بالمقام الطيب سنين متطاولة فى بغداد وسر من رأى ؛ ثم جلوسه إلى حاكمها مجلس (الرعية) من الراعى ، بعد أن كان لا يرى إلا جليس خليفة أو وزير أو أمير خطير ...

وكانت أيام المتوكل ونجيه الفتح — وأمثالهما ممن بسطوا على البحترى ظلال نعمائهم — تبدو له كأحلام سعيدة تمتع بها حينا ، ثم انقشعت عن حسرة فى نفسه وشجى . وإنه ليعبر عن شعوره بذلك أصدق التعبير حين يقول ضمن قصيدة بعث بها إلى أبى الصقر —

مضى جعفر والفتح بين مرمَّل وبين صبيغ بالدماء مضرَّج
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى؟
أولئك ساداتى الذين برأيهم حلبت أفاويق الربيع المثجج
مضوا أمماً قصداً وخلفت بعدهم أخاطب بالتأمير والى (منبج)

وتوفى البحترى فى منبج ، بداء السكتة ، عام ٢٨٤ هـ . وكان قد أربى من عمره على الثمانين .

(قوص) محمود عزت عرفة

بأسماء مصطنعة مثل اسم « قسطنطين قسطنطيوس Constantin Conestantius » أو إسم « جوهانس كليما كوس Gohannes Climacus » ... ولعل السبب فى ذلك أن الوجدان الجائش الذى كان يعمر نفسه والذى كان هو يريد أن ينقله إلى الناس لم يكن من السهل أن يصل إلى عالم شاعت فيه الأفكار الهيجلية . فلذلك اضطر صاحبه إلى أن يصطنع أساليب التخفى التى تجنبه الخصومة والعداء . ومع ذلك فإن هذا الوجدان intuition لم يستطع أن يستحيل إلى تصورات عقلية تكون مذهباً ، فتمثل فى محاولات رمزية وصور مجازية متباينة .

وإذا نظرنا إلى بعض الصفحات التى كتبها كير كجورد عن « الظلمات الروحية les ténébres spirituelles » للنفس التى تبحث عن الله فإننا نجد فيها نبرة صادقة قوية تشهد بتجربة صوفية عميقة . والواقع أن المشكلة التى واجهت كير كجورد باعتبارها المشكلة الوحيدة الهامة إنما هى مشكلة الإيمان ، فقد بدا لكير كجورد أنه لا سبيل إلى إثبات حقيقة الإيمان إلا بإنكار عالم العقل والمنطق (وهو العالم الذى يعرف له كير كجورد قيمته ، وإن كان فى نظره متجسداً فى هيجل) . ومن ناحية أخرى فإن إيمان كير كجورد لم يكن مقترنا بمجموعة من المبادىء العامة أو الحقائق المطلقة (كما هو الحال عند أصحاب المذهب البروتستنتى الذين لا يرتبطون بكنيسة قوية تجمع بينهم فى وحدة قوية شاملة) ولذلك فقد كان بطبيعته إيماناً منطلقاً سهل التحول ، لا يتوفر فيه أى عنصر من عناصر اليقين أو الطمأنينة . ومثل هذا الإيمان لا يعسر أن يرتبط بالقلق والجزع والتمزق الداخلى déchirement intérieur فى نفس صاحبه ؛ بل إنه ليصبح حقيقياً بقدر ما يقترن به من هذه العوامل النفسية .

وهنا لعبت التجربة الروحية التى عاناها كير كجورد دورها الأساسى الهام : فإن كير كجورد كان قد خطب فتاة أحبها وأحبته فاستقر رأيه على أن ينقض هذه الخطبة ، واعتبر تضحيته هذه من قبيل تضحية إبراهيم الخليل وظن أنه إذا كان لديه إيمان حقيقى كما كان لدى إبراهيم ، فإن المعجزة لا بد أيضاً أن تحدث ، وبالتالى فإن خطيبته لا بد أن تعود إليه كما عاد إسحق إلى أبيه . بيد أن خطيبته لم تعد إليه ، فأدت به هذه التجربة إلى اعتبار الإيمان سراً عميقاً لا سبيل إلى اكتناهه ؛ وانضافت إلى هذه التجربة نزعته اللاعقلية irrationalisme فذهب كير كجورد إلى القول بأن المؤمن (أو رجل الإيمان) يعيش بالضرورة فى شك مرير قاتل من جهة الإيمان نفسه : فأنت إذا اعتقدت أن لديك إيماناً فكأنك بذلك تجدف على الإيمان .

ولكن كير كجورد لا يدعنا فى هذه الحالة من التمزق الداخلى ، بل سرعان ما ينقذ الإنسان من السقوط الكامل ، فيثبت — فى لمحة سريعة باهرة — عالم المعجزة ، وعالم الحرية الإنسانية والصلة الفائقة للعقل بين الله والإنسان . ولكنه إثبات يعتمد على الذوق الصوفى واللمع الروحية ، مما لا سبيل إلى العثور عليه عند فيلسوف آخر غير كير كجورد الصوفى المتوحد !

« مصر الجديدة » زكريا ابراهيم

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٢٤ — مقالة أبي ذر جندب

في (تاريخ الطبري) : أتى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله – يا أباذر – ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره . قال : فلا تقله . قال : فإني لا أقول : ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين. وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء مايلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر قد أعضل بي ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب اليه : جهز أبا ذر إلي ، وابعث معه دليلا ، وزوده وارفق به . فلما قدم المدينة ودخل على عثمان قال : يا أبا ذر ، مالأهل الشام يشكون ذربك ؟ فأخبره أنه لاينبغي أن يقال مال الله ، ولاينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أباذر ، عليّ أن أقضي ماعليّ ، وآخذ ماعلى الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد . ودخل أبو ذر على عثمان وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف . وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات . فقال كعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه ، فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه ...

٦٢٥ — هؤلاء مماليكنا ... !

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : بلغ نوسيوس (الشاعر اليوناني) أن عدواً له اغتابه فقال هذا الشعر (على طريقة يونان) :

بلغنا أن كلباً وقرداً اجتازا بمقبرة سباع ، فقال القرد للكلب : اصعد بنا لنترحم على هؤلاء الموتى . فقال الكلب : ومن أين هذه المعرفة بينكما ؟ قال القرد : سبحان الله ! أما تعلم أن هؤلاء مماليكنا ؟ قال الكلب : والله ما أعلم شيئا من هذا ولكني كنت أحب أن يكون أحدهم حاضراً وتقول هذا .

٦٢٦ — ليس للشيطان ذنب

(تاريخ بغداد) : قال مالك بن أنس : لهؤلاء الشطار[1] ملاحة ، كان أحدهم يصلي خلف إنسان فقرأ الإنسان : الحمدُ لله رب العالمين حتى فرغ منها ثم أُرْتِجَ[2] عليه ، فجعل يقول : أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ، وجعل يردد ذلك فقال الشاطر : ليس للشيطان ذنب إلا أنك لا تحسن القراءة.

٦٢٧ — نحب فيها المال والجاها

الشميس الأندلسي :

لله في الدنيا وفي أهلها ... معمّيات قد فككناها
من بشر نحن ، فمن طبعنا ... نحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم ... فإنما الناسُ أخلاّها
لم تُقبل الدنيا على ناسك ... إلا وبالرحب تلقاها
وإنما يعرضُ عن وصلها ... من صُرفتْ عنهُ محياها

٦٢٨ — فسماهم الزوار ستراً عليهم

قال العباس بن خالد البرمكي : كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك — السؤّال ، فقال خالد : هذا اسم

(١) فلان شاطر : خليع (الأساس) الشاطر : من أعيا أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً ، وهو مأخوذ من شطر عنهم إذا نزح مراغما وقد قيل إنه مولد .

(٢) من المجاز : ارتج عليه إذا استغلق عليه الكلام

أستنقله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسمى به أمثال هؤلاء المؤملين ، لأن تيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكنا نسميهم (الزوّار) وفى ذلك يقول بشار :

وكان ذوو الآمال يُدعون قبله
بلفظ ، عى الإعــدام فيه دليل[1]

فسماهم الزوار ســتراً عليهم
فأستاره فى المجتدين سدول[2]

٦٢٩ — بين امامين ...

فى كتاب (سحر العيون) :

من بديع الاتفاق أن قاضى القضاة شيخ الإسلام بدر الدين محمود (العينى) الحنفى لما ولى مشيخة المدرسة المؤيدية التى بباب زويلة مالت منارتها فبلغ ذلك قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن (حجر) العسقلانى وكان بينهما ما يكون ما بين المعاصرين فأنشد بديهة :

لجــامع مولانا المؤيد رونق
منــارته تزهو على الفخر والزين

تقول وقد مالت عليه تمهـــلوا
فليس على حسنى أضر من (العين) ى

فلما بلغ ذلك العينى أجابه بهذين البيتين ، والمشهور أنهما من نظم الشيخ شمس الدين النواجى على لسان العينى :

منارة كعروس الحسن إذجليت وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا أصيبت بعين قلت ذا خطأ
ما أوجب الهدم إلا خسة (الحجر)

(١) أعدم : افتقر ، وأعدمه غيره ، والعديم الذى لا شىء عنده وجمعه عدماء .

(٢) السدول : جمع السدل وهو الستر والسدول : ما جلل به الهودج من الثياب ، وسدل الثوب والستر والشعر : أرخاه وأرسله ، وأسدله

٦٣٠ — افتح عينك

قال صاحب كتاب (سحر العيون) :

كنت حاضراً فى مجلس بين يدى شيخنا المرحوم برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن الملاح — وقد سأله بعض أبناء الأتراك أن يقرأ عليه فى العروض ، فكسر العين من العروض ، فقال له الشيخ : افتح عينك .

٦٣١ — فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء

فى كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى : حكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية[1] كان يختلف إلى بعض المتكلمين ، فأتاه مرة فناظره ، فأمر المتكلم بأخذ دابته ، فلما خرج لم يرها ، فرجع إليه فقال : سرقت دابتى . فقال : ويحك ! لعلك لم تأت راكبا ، قال : بلى ، قال : فكرْ ، قال : هذا أمر أتيقنه فجعل يقول تذكرْ . فقال : ويحك ، ويحك ! ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أنى جئت راكبًا . قال : فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشىء وأن حال اليقظان كحال النائم ، فوجم السوفسطائى .

***

فى (العقد) لابن عبد ربه : دخل رجل على المأمون فقال لثمامة بن الأشرس : كلمه : فقال له ما تقول ؟ وما مذهبك ؟ قال : أقول : إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان ، وإنما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ، ولا شىء فى الحقيقة . فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه . فقال : (يا أمير المؤمنين) يفعل بى مثل هذا فى مجلسك ؟ قال ثمامة : ولعلى إنما دهنتك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

ولعــل آدم أمنا والأب حوا فى الحساب

ولعل ما أبصرت من بيض الطيور هو الغراب

وعساك حين قعدت قمـ ـت وحين جئت هو الذهاب

وعسى البنفسج زئبق وعسى البهار هو السذاب[2]

(١) زعموا أن الأشياء لاحقيقة لها وأن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده (ابن الجوزى) .

(٢) البهار والسذاب : نباتان طيبا الرائحة .

همس الساعة

للدكتور عزيز فهمي

تَمُدُّ الثوانيَ همساً ونفضا
وتزحفُ زحفاً وتنبض نبضاً (١)

وتدنى البعيدَ وتُقصى القريبَ
وتجمعُ شملا وتُبعِد أرضا

تَوارثها الناسُ جيلا لجيلا
وشكّلها من توالى وقضًّا (٢)

تصوّرها البعضُ فى عين هِرّة
إذا الجِرْءُ تبّت جفنا وغضّا

ولولا الأهلّة لم تعدُ عنها
مواقيتُ للناس والحجّ تُقضى

إذا الشمسُ خلفَ الغيوم توارتْ
هداكَ سناها ولم تألُ حضّا

تُوحّدُ بينَ اللغاتِ وتُفْضى
إلى أهليهنّ بما هوَ أفضى

تُبشّر صَبًّا بوصل الحبيب
فتحيى الشبابَ الذى كانَ غضّا

ومِنْ عجبٍ أنْ يُبينَ الجمادُ
وينطقَ جهراً ويُعمن خفضا

تُبين وتُفصح فى صمتها
فتُوجبُ فرضاً وتُسقط فرضا

وتهمسُ : ما فاتَ ودّعته
فشيّعتَ حيناً وفارقتَ بعضا !

وهيهات يَرجعُ ما قد مضى
وهيهاتَ يقبلُ حكمِى نقضا

أتُعرضُ عنّى لتسمع لغواً
وتأتى من الناسِ نوكى (٣) ومرضى؟

ومعظمهم لو علمتَ دَعِىٌّ
يُريكَ الودادَ ويُضمرُ بُغضا

سواىَ يُرائيكَ فى محضرٍ
ويفريكَ - إنْ غبتَ - غمزاً وعضّا

وغيرى يبثّكَ ما تشتهى
ويهزأُ منكَ إذا هوَ أغضى

أنا الوقتُ أُملى (١) على عادتى
وتنكى من فتكة السيفِ أمضى

فإنْ شئتَ بادرْ إلى عزمةٍ
فعزمى يكادُ يُسلّ وينضى

وخلّ القادرَ تجرى المدى
ودعْ ما يريبك ما دامَ غمضا

تنبّه ! تنبّه ... ولا ترجئنّ
إلى الغدِ وانهضْ لأمرِكَ نهضا

غدٌ موعدُ العاجزين ووهمٌ
تمنّيكَ إنْ رُمتَ للريحِ قبضا

غدٌ - لو علمتَ - غيوبٌ فعجّلْ
وبادرْ لعلّكَ فى الغدِ ترضى

ستندمُ بعدَ فواتِ الأوانِ
وتجنى الأمانىَ صاباً وغضّا

حِذارِ ، حذارِ ولا تلحنى
فكم قد بذلتُ لكَ النصحَ محضا

وأنذرتُ حتى مللتَ النذيرَ
ولولا ملالُكَ ما عادَ مضّا

ولو قد أصختَ لقيتَ الحتوف
بدرعٍ يصدُّ فيزدادُ ومضا

تَفِضُ بفلسٍ ضنين الشحيح
وتسرفُ فى العُمرِ جهلاً وفوضى

فيا للضلالِ ! تُغبنُ بدون ...
وترخصُ كنزاً وجاهاً وعرضا !

عزيز فهمى

---

(١) النفض : الحركة والاضطراب .
(٢) تنها وتبيها .
(٣) حمقى .

(١) أمهل .

صـــــدى الفاجعة

للأستاذ سيد قطب

[لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم . ثم هأنذا أعانى من الفجيعة فيه كأنها فجيعتى الخاصة ... فياويح لأولئك الذين عاشروه ، فأحبوه ووارحتا لهم كيف يعيشون ...؟]

جـفّ الرثاء بخاطرى المفجوعِ وتَصمّتُ لا أُفضى بغير دموعى
إنى ذهلتُ عن المصاب بوقعه حيناً ، ذهول الواهم المخدوعِ
فظللت أُنصت للرجاء ، وأتّقى صوت اليقين الفاجع المسموعِ
أيموتُ ؟ كلا ! لا يموت وهذه مصر تُرجّى نجمه لطلوعِ
أيموت والأحداث تهتف باسمه؟ أتكون تلك هُتافة التوديعِ؟
قل أيها الناعى سواه ، فما أرى أنى ـ وإن جاهدتنى ـ بسميعِ!

واويلتاه ! أنبأ لحقيقةٌ جلّت عن الإيجاف والترويعِ؟
صمتَ الذى قد كان ألحن حجة وتحدثت طعنانه بنجيعِ
متفجرات بالدماء كأنها كلماته فى قوة ونصوعِ
كلماته اللائى نبضن بقلبه ودماؤه من ذلك الينبوعِ

يا واهب الوادى مَريع حياته ما بال عمرك لم يكن بمريعِ ؟
يا مانع الوادى العزيز بنفسه ما بال عمرك لم يكن بمنيعِ ؟
خـطفتك عادية المنون وخلفت وطناً يعالج سكرة المصروعِ
خلا مكانك ليس يملأ رحبه إلا الأسى وتفجّعُ المفجوعِ
خـلا مكانك والبلاد تهيأت تخطو إلى أفق رحبٍ وسيعِ
وتلفتت تصغى لصوتك هادياً فى الدلهمّ ورأيك المسموعِ
فصمتَّ ـ بالهول ـ صمتة واجم ماضٍ لنير تأوّب ورجوعِ
واهاً لمصر ويا فجيعة أهلها فى الرائد المتفرد المتبوعِ !

طـــــريقى

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

طريق إلى بيتى! نعِمتَ ، طريق إلى خير محبوبٍ وخير رفيق
طريق إلى دنيا غرامٍ ونشوة وفردوس أرضٍ ناضر وأنيق
وهيكل تفكيرى، وقدس عبادتى وآية توفيقى ، وكنز حقوق
تقلبتَ فى عينى كريماً معدِّساً وكنتَ تلقّانى بوجهٍ طليق
شجيراتك اللفاء تُقمى كأنها أفاعٍ على أذنابها عضين
نهارك مغبرٌّ ، وشمسك سمجة كأن شروقاً فيك غير شروق
وجوك خنّاق أبيتُ لثقله بأنفاس مضغوط الضلوع خنيق
كذا أنت مذ حازت سراتك فى الضحى
جنازة زوجى ، زوجتى وصديق
تسير وئيداً للتراب ، وخلفها أنا الأرمل الباكى أجرّ سوق
طريقى! لقد جازتك أيام أنسنا تخطو لها حلو الأناة رشيق
فمالك ، قد مرّتْ عليك حميلةً ولم ترتجف زلزال غير مطيق
طريقى!ومازلتَ الطريق، وإنما إلى وحدتى من بعدها وحريق
إلى البيت مبناه ، وأما صميمه فكالقبر مكشوفاً وغير سحيق
طريق ، طريق ! كل دُورك ظلمةٌ
بغـير بريقٍ — وهى ذات بريق
إذا سرتُ فيك اليومَ سِرْتُ كأننى
جنازتها — نحو الحِمام طروق
قطعتَ ، فأوْصِلْ شائقاً عشوق
وإلا ، فتَمْماً لى ، وتعْسى طريق

هذا العـــــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

مستقبل الطيران

يتنبأ أحد مصممى الطائرات أن الترف والراحة فيها سينافسان الترف والراحة فى عابرات المحيط الكبيرة . فيستطيع المسافر أن يطوف حول العالم فى ١٤ يوماً تشمل زيارات فرعية لمناطق متعددة تستعمل فيها الطائرات التى تهبط عمودياً فتهبط فى أماكن لم يفكر أحد فى زيارتها لوعورة مسالكها .

وتزود طائرات مابعد الحرب بغرف طعام خاصة وغرف للملابس ولأنواع التسلية والتلفزيون والراديو، كما تجهز بمقاعد مريحة خاصة بنحاف الأجسام أو ضخامها . أما متاع الأشخاص فينتظر أن يفرد له ظهر الطائرة لتوفير داخلها وستوالى هذه الطائرات رحلاتها فى مواعيد منتظمة ، وقد صنعت طائرات تسع الواحدة منها ٤٨ مسافراً وتكفى لنوم ٢٤ مسافرا .

عمر الفرد ١٣٠ سنة

يقولون إن ابنك أو ابن ابنك سيعيش ١٣٠ سنة فى أتم صحة ، لأن هذا العمر سيكون متوسط عمر الإنسان بعد جيل أو جيلين، فقد لوحظ أن متوسط عمر الحيوان يساوى خمسة أضعاف أو ستة أضعاف عمر بلوغه ، وعلى هذا الأساس يكون المتوسط العادى لعمر الإنسان بين ١٢٥ ، ١٥٠ . ويميل العلماء إلى ربط طول عمر الإنسان بتغذيته ، فيوصون بالألعاب الرياضية ، والهواء الطلق ، والشمس والفيتامينات ، والنوم ٨ ساعات والحمامات الباردة .

ويعللون سهولة الوصول إلى هذا المستوى من العمر بالتقدم الطبى واتجاه الأبحاث إلى الناحية الإنشائية فى جسم الإنسان .

الموسيقى والأمراض العصبية

أجرى المجلس الاستشارى الأهلى للموسيقى فى الولايات المتحدة إحصاء لدراسة مدى استعمال الموسيقى فى المستشفيات للأمراض العصبية ونتيجة استعمالها فى شفاء الأمراض ، فاجابه على استفتائه ٢٠٩ مستشفيات يتراوح عدد أسرة الواحد منها بين ٣٣ و ٨٠٠٠ سرير . ويستعمل الموسيقى منها ١٩٢ مستشفى . ولم تستطع المستشفيات الأخرى الحصول على أدواتها بسبب صعوبات الحرب ونقص الأيدى العاملة وغيرها .

ويدير الحفلات الموسيقية فى ١٦٠ من هذه المستشفيات موسيقيون محترفون أو مرضى موهوبون أو أندية سمر خاصة . وتستعمل الاسطوانات الموسيقية فى ١٥٢ من المستشفيات ، وهناك إجماع على أن المرضى يحبون الموسيقى ولكن ٢٣ مستشفى أجابت بأنها تستعمل الموسيقى كأداة علاجية فى حالات بعض الأمراض العصبية ، وأجابت ١٣٤ بأنها تستعملها لغرضى العلاج والترفيه .

ويرى أكثر مديرى المستشفيات أن الترفيه نوع من العلاج . على أنهم يعتبرون الاشتراك فى توقيع القطع الموسيقية فى جماعة أكثر تأثيراً فى المرضى من مجرد الإصغاء إليها ، فان روح الاشتراك مع الجماعة يكسب المرضى حب التعاون والصداقة ويساعدهم على تذليل صعوبات الكبت عندهم .

وقال المشرفون على علاج المرضى فى أحد المستشفيات إن ضوضاء الطبول وأصواتها ذات تأثير مقلق لجميع حالات المرضى، بينما الموسيقى والأغانى الشعبية الهادئة ذات تأثير ملطف . وهناك شبه إجماع على أن الموسيقى لا تصلح كعلاج فعلى بل إنها قد تكون خطرة على بعض المرضى إذا اختير نوع غير ملائم لهم مما قد يؤدى إلى زيادة ارتباكاتهم العقلية ويقوى أفكارهم المشوهة .

عينات دم من الأعضاء الداخلية

صرح الدكتور جيمس ليرى فى اجتماع الجمعية الطبية للأبحاث أنه صار من السهل الحصول على عينات دم من القلب أو الكبد أو الكلى مباشرة ، وذلك بامرار أنبوبة رفيعة طويلة ومرنة من الكوع . وترجع أهمية هذه العينات إلى خلوها من تأثيرات الدم فى الأوعية الدموية الأخرى مما يساعد الطبيب على تشخيص المرض بدقة .

وليست العملية معقدة كما قد تبدو، وإن كانت رحلتها طويلة ، فان الأنبوبة تمر داخل أحد شرايين الكوع ويلاحظ سيرها

بجهاز خاص فتشاهد وهى تسير إلى الجزء الأيسر للقلب ومنه إلى الشريان المؤدى إلى الكبد أو الكلى أو غيرها من الأوعية .

وأجريت هذه العملية فى السنتين الأخيرتين فى ٣٠٠٠ حالة بدون أن يصحبها أو يعقبها أى رد فعل أو ضرر .

من البيض لقاح ينقذ الحياة

هى قصة فتح جديد فى عالم الطب ، هى قصة الصراع بين الصحة والمرض وبين الموت والحياة ، أعلنت على الناس ثمراتها الأولى فى سنة ١٩٣١ فجنوا نضجها فى إبان الحرب . هى قصة مربية الفيرس (Viruse) ذلك الحى الدقيق المسئول عن كثير من الأمراض المستعصية مثل التيفوس والحمى الصفراء والانفلونزا والحصبة وشلل الأطفال .

ولولا هذا الكشف لانتشرت الأوبئة الفتاكة بين الجنود والمدنيين كما حدث فى ١٩١٨ ــ ١٩١٩ حينما أزهق وباء الانفلونزا عشرين مليوناً من الأنفس . ولكن نجاح الدكتور جودباستور ومساعدته الدكتورة اليس وودرف أنقذ العالم من الأوبئة ، كما وضع الأحجار الأساسية لوقاية الناس من أمراض عدة تسببها عائلة الفيرس .

وهذا الميكروب دقيق لا تراه الميكرسكوبات العادية ، ويخالف سواه فى وسائل تغذيته وحياته ، فبينما الميكروبات الأخرى تعيش فى أوساط مختلفة مثل الآجاراجار واللحم ، فإنه لا يعيش إلا على أنسجة حية إن ماتت قضى معها . وكان الأطباء يربونه لعمل اللقاح فى القردة والطيور ، ولكنهم لم يحصلوا منه على القادير اللازمة لكفاية عدد من الناس فضلا عن أمة كبيرة . فاللقاح الواق هو ميكروب المرض ، ميتاً أو ضعيفاً ، يلقح أو يحقن به الجسم فيكتسب مناعة ضد المرض نفسه .

بدأ الدكتور جودباستور أبحاثه لتربية الفيرس فى الدجاج ، وفى مرض جدرى الطيور . وهداه البحث إلى الإستعانة بالبيض المخصب فهو يحتوى على أنسجة حية . فكان يفتح قطعة صغيرة من قشرتها ليمرر الفيرس ، ثم يغلقها ثانية بغشاء شفاف يرى من خلاله مايحدث داخل البيضة . وبعد أربعة أيام صارت أغشية البيضة سميكة وملتهبة فعرف أن مجموعات الفيرس تنمو وتتغذى على جنين البيضة .

وأعلن نتيجة بحثه فى سنة ١٩٣١ ، فلم يجد من الأطباء أذناً صاغية . وأهملوا قيمة أبحاثه كما أهملوا فى سنة ١٩٢٩ نبأ اكتشاف الدكتور فلمنج للبنسلين ، ولكنه انتقل إلى المرحلة الثانية . فأى أنواع الفيرس ينمو فى البيض وأيها لاينمو ؟ فجرب فيرس الجدرى البشرى فحصل من البيضة الواحدة على كميات لقاح تكفى ١٠٠٠ فرد فأى هدية ثمينة رخيصة يقدم للعالم .

وانتشرت أنباء نجاح الدكتور جودباستور ، فصنع الألمان كل لقاح الجدرى من البيض . ونجح الدكتور بيرنت فى استراليا وربى فيرس الانفلونزا فى البيض . وأدركت الهيئات المختلفة أهمية الكشف الجديد فجربه معهد روكفلر لتربية فيرس الحمى الصفراء ، فكان النجاح باهراً .

وما زالت المعاهد الطبية تقدم إلى العالم كل يوم لقاحاً جديداً، فقد أعلن الدكتور هرالد كوكس أن عدد أنواع الفيرس التى تنمو فى البيض ٢٥ نوعا ، منها التيفوس ومرض نوم الخيل الذى قتل فى سنتين ٨٠ ألف حصان . ولفيرسه خطره على الناس أيضاً ، فإنه فتك بسبعين فى المائة ممن أصيبوا به ومن نجوا من الموت أصيبوا بانهيار فى أعصابهم أو جنوا .

وهناك أمراض لم ينجح الباحثون بعد فى كشف سر تربية فيرسها ، ومثال ذلك مرض شلل الإطفال . ولكن العلماء يعتقدون أن التوفيق اليه قريب بفضل تقدم فن تربية الفيرس فى البيضة ، وما توصلوا إليه من تحسينات فى أدوات حقن جنينها بالميكروب فى أنحاء جسمه المختلفة . فمرة يحقن الفيرس فى المخ ، وأخرى فى النخاع الشوكى ، وثالثة فى الجلد ، ورابعة فى العضلات ، إلى غير ذلك من الأجزاء وهم يرجون أن تظهر أعراض المرض فى أحد هذه الأعضاء فيتاح لهم صنع لقاحه ويكشفون سره .

وكانت القوات المحاربة الأمريكية من أسرع الهيئات التى استعانت بأبحاث الدكتور جودباستور ، فوفرت على جنودها شر الإصابة بالأوبئة الفتاكة التى تعتبر من لوازم الحرب فى المناطق الحارة فى المحيط الهادى ، وبالتالى تيسر لهم النصر فى معارك القتال المختلفة . ولولا هذا الاكتشاف وما أضفاه على الجنود من صحة وطمأنينة لانقلب ميزان هذه المعارك ، فالجندى المريض عبء على الجيش تخسر وحدته جهده ، كما تزيد جهد الأقسام الطبية مما قد يؤجل النصر إن لم يمنعه .

فوزى الشتوى



الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

- ٣ -

الواقعية في الفن Realism in art

في نهاية شارع الجامعة الطويل، وقريباً من الشان دى مارس Champ de mars يوجد «مخزن الرخام» في ركن منزل مهجور يشعرك بأنك في الريف. في فناء هذا المخزن الذي تكسوه الأعشاب ترقد قطع رخامية غبراء ثقيلة مبعثرة، تبدو في مواضع منها كسور حديثة العهد تنم عن بياض ناصع. تلك هي أحجار الرخام التي احتفظت بها الدولة للمثالين الذين تشرفهم بعمل تماثيل لها.

ويقوم إلى جانب من هذا الفناء عدة مراسم خصصتها الدولة لمختلف المثالين، تبدو كأنها مساكن للطلبة من طراز جديد، وهي بمثابة مدينة صغيرة للفنانين، يجللها هدوء عجيب. يشغل رودان مرسمين من تلك المراسم، يعمل في واحد منها ويضع في الآخر سبائك الجص لقطعته المعروفة « باب جهنم »، تلك القطعة التي تسبي العقول برغم أنها لم تكتمل بعد.

ولقد اعتدت أن أزوره هنا أكثر من مرة في آخر النهار، عند ما يوشك أن ينفض يده من عمله اليومي. فكنت أجلس على كرسي وأرقبه وهو يعمل، وأرتقب تلك اللحظة التي يرغمه فيها الظلام على الكف عن العمل، ولكن كان حرصه على الإنتفاع بآخر شعاع من أشعة النهار يلهب أعصابه ويصيره كالمحموم.

وهأنذا أراه يسوي ويشكل تماثيله الصغيرة من الطين بسرعة خاطفة. وهو يجد في ذلك ضربا من التلهي والتسلي يجنح اليه في الفترات التي تتخلل عمله الوئيد الذي يبذله في صنع التماثيل الكبيرة. ثم انه يجد في تلك الدراسات العجلى التي تؤدى للتو واللحظة متاعا ولذة لأنها تعينه على امتساك حركة رشيقة أو إيماءة جميلة عابرة، قد لا يتاح لصدقها الآبق أن يُدرس دراسة عميقة طويلة.

أما طريقته في العمل ففريدة في بابها. فترى في مرسمه كثيراً من المثل الآدمية العارية تمشى الهوينا أو تستريح، يؤجرهم رودان لكي يرى فيهم الجسم العاري يتحرك بكل ما في الحياة من حرية، فهو يلاحظهم في غير انقطاع؛ وبذلك أمكنه أن يلم برؤية العضلات في حركاتها وسكناتها. إن الجسد العاري الذي نعتبره نحن المحدثين علانية شاذة، والذي لا يرى فيه المثالون إلا طيفاً لا يدوم لأكثر من جلسة أصبح منظراً مألوفا لدى رودان.

وإن الدراية المستمرة بالجسم الإنساني. تلك الدراية التي اكتسبها قدماء الإغريق من ملاحظة الألعاب الرياضية كالمصارعة ورماية القرص والملاكمة وغيرها من صنوف الألعاب الرياضية، والتي أباحت لفنانيهم أن يتكلموا بحرية عن الجسد العاري اكتسبها صانع « المفكر » أو رودان بجعل الآدميين العرايا يذهبون ويجيئون أمام عينيه باستمرار. وبذلك استطاع أن يستكنه المشاعر التي تعبر عنها كل هنة من هنات الجسد. ويعتبر الوجه عادة المرآة الوحيدة التي نرى فيها النفس، كما يبدو لنا أن تحرك أعضاء الوجه هو المظهر الخارجي الوحيد للروح. وفي حقيقة الأمر الواقع أنه لا توجد عضلة من عضلات الجسم لا تعبر عن التغيرات التي تطرأ على الشعور الداخلي، كلها تعبر عن فرح أو حزن، عن يأس أو أمل، عن تعقل أو جنون. إن الذراع المنبسطة أو الجسم المسترخي ليبسم في رقة وحلاوة مثلما تبسم الشفاه أو العيون، ولكي يصبح المرء قادراً على تفسير كل خلجة من خلجات اللحم وجب عليه أن يوطن نفسه على قراءة ذلك الكتاب البديع — وهذا ما فعله أساطين الفن الأقدمون، وساعدتهم عليه ظروف مدنيتهم. أما رودان فقد توصل إليه في عصرنا هذا بقوة إرادته الخاصة. إنه يتبع مثله بنظراته الفاحصة النهمة ويتنسم في هدوء روح الحياة التي تختلج فيهم، ويعجب بطرواة هذه الفتاة التي تنحنى لتلتقط إزميلا[1]، أو بجمال أخرى ترفع ذراعيها لتصفف شعرها الذهبي فوق رأسها، أو بخطران شاب يمشي عبر الغرفة، وعندما يأتي هذا أو ذاك بحركة أو وضع يروقه يطلب منه تواً أن يستبق ذلك

(١) شفرة الحذاء.

الوضع ثم يهوى إلى طينه ويعمل بسرعة فلا يلبث أن يخرج تمثالا صغيراً إلى الوجود ، ثم ينتقل بنفس السرعة إلى غيره يشكله ويسويه بالطريقة ذاتها .

وفى إحدى الأمسيات ، عند ما أخذ الليل يرخى سدوله الكثيفة على مرسمه جرى لى حديث مع المعلم عن طريقته بدأته بقولى :

« إن ما يدهشنى منك أنك لا تشتغل على وتيرة أقرانك . إنى لأعرف الكثير منهم وقد رأيتهم يعملون ، فهم يحملون المثال يعتلى خشبة تسمى العرش ويأمرونه بأن يتخذ كذا أو كذا من الأوضاع ، وفى العادة يثنون أو يبسطون ذراعيه ورجليه حسبما يروق لهم ، ويحنون رأسه أو يمددون جسمه كما لو كان بنتا من بنات[1] الأطفال؛ ثم يشرعون بعد ذلك فى العمل . أما أنت فعلى النقيض من ذلك ، تنتظر حتى يأخذ مثالك وضعاً من الأوضاع التى تروقك فتقوم بانتساخه حتى لكأنك أنت الذى تأتمر بأمرهم وليسوا هم الذين ينزلون على أمرك » .

وكان رودان متشاغلا بلف نماذجه الصغيرة بلفائف مبللة فأجابنى فى هدوء .

« أنا لست رهين أمرهم وإنما أنصاع لأوامر الطبيعة ، أما زملائى فلهم ولا ريب أسبابهم التى تدعوهم إلى الاشتغال على النحو الذى ذكرت ، ولكن اعتسافهم الطبيعة على هذا النحو ومعاملتهم الإنسان معاملة الدمى تجعلهم يخاطرون بإنتاج تماثيل متكلفة لا تنبض بالحياة ، أما أنا الذى ينشد الحقيقة ويدرس الحياة كما ترى فسوف أحرص على ألا أنهج نهجهم . إنى أستخرج الحركات التى ألاحظها من الحياة ولكننى لا أفرضها ولا أصطنعها، حتى إذا ألجأنى الأمر وأنا أشتغل بموضوع ما أن أطلب من المثال أن يتخذ وضعاً معينا ثابتاً فانى أشير اليه بأن يأخذ ذلك الوضع متحاشيا جهدى أن أمسه لأضعه فى الوضع المطلوب ، لأنى لا أنقل إلا ما تقدمه لى الحقيقة على الأثر . إنى أطيع الطبيعة فى كل شىء ، ولا أحاول قط أن أسيطر عليها ، وكل ما تصبو اليه النفس هو أن أكون عبدها الوفى الأمين » ، فأجبته فى شىء من الخبث والمداورة « ومع ذلك فأنت لا تبرز الطبيعة فى أعمالك بنصها وفصها » فتوقف قليلا وهو ممسك باللفائف المبللة ثم أجابنى وهو مقطب الأسارير .

— نعم إنى أبرزها بنصها وفصها

— ولكنك تضطر إلى تغيير . . .

— لا أغير منها فتيلا

— ولكن البرهان على أنك تغيرمنها هو أن السبيكة لا تعطى من التأثير مثلما يعطيه عمل يدك بحال من الأحوال

فكر لحظة ثم قال :

هذا حق ! لأن السبيكة أقل صدقا مما تطبعه يدى فى الطين أو تحفره فى الحجر يكاد يكون مستحيلا على أى مثال أن يحتفظ بوضع حى طيلة الوقت الذى يلزم نعمل سبيكة منه

ولكنى أحتفظ بجملة الوضع بمخيلتى وأصر على أن يتطابق المثال على ما وعته مخيلتى من ذلك الوضع . وأكثر من ذلك أن السبيكة لا تظهر إلا المظهر الخارجى ، ولكنى أظهر بجانب ذلك الروح التى هى بلا ريب جزء من الطبيعة أيضاً . إنى أرى الحقيقة كاملة ولا أقصر نفسى على رؤية المظهر الخارجى . إنى أبالغ فى إظهار الخطوط التى تعبر أحسن تعبير عن الحالة النفسية التى أتولى تفسيرها »

وكان يرينى وهو يتكلم تمثالا من أروع تماثيله قائماً على منصة قريبة ، هو تمثال لشاب راكع رافع ذراعيه المتوسلتين إلى السماء كأنما تنهش كيانه حيات الألم ، جسمه مائل إلى الوراء ، وصدره ناهد وحلقه متوتر من اليأس ، أما يداه فممدودتان إلى مخلوق وهمى تتوقان إلى إمساكه ؛ ثم قال لى :

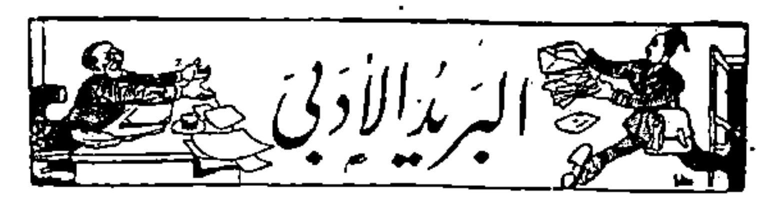
« انظر ، لقد أوضحت انتفاخ العضلات التى تفصح عن الألم ، فهنا وهنا وهناك قد غاليت فى توتير أربطة العضلات التى تدل على تدفق الصلاة وحرارتها » وبعد ذلك أشار إلى أقوى وأبرز ما بالتمثال من أجزاء ، وهنا صحت به متهكماً :

« لقد أصبت منك متمرداً يا أستاذى . تقول بنفسك إنك تفصح ، وتزيد ، وتبالغ . . فترى من ذلك إذن أنك غيرت من الطبيعة » فأخذ يضحك من عنادى ويقول :

« أبداً ، أنا لم أغير منها شيئاً ، وعلى فرض أنى فعلت ذلك فانى لم أكن أتوقعه وقتذاك ، فالاحساس الذى سيطر على مشاعرى وقتئذ أرانى الطبيعة كما نقلتها . فاذا ما أردت تنقيح ما رأيت وجعله أكثر جمالا لما أنتجت شيئا طيبا » وبعد برهة عاود حديثه قائلا :

« إنى أوافقك على أن الفنان لا يرى الطبيعة كما يراها السوقى

(١) البنات لعب الأطفال (المرايس)



عالمية الإسكندر

فى هذه الأيام التى يتفاوض فيها أقطاب العالم لوضع نظام عالمى أو قريب من العالمى ، يضمنون به الإشراف على القوميات المختلفة ، ووضعها فى نظام منسجم متناسق ، قد يكون من الطريف أن نشير إلى محاولة لتطبيق فكرة العالمية قام بها صاحبها منذ اثنين وعشرين قرناً أو ما يقرب من ذلك ، تلك هى محاولة الاسكندر المقدونى التى أراد بها أن ينفذ هذه الفكرة فى النصف الثانى من القرن الرابع قبل المسيح .

لم يكن العالم الهلينى فى ذلك الوقت قد اتسع أفقه بعد ليشمل نطاقاً أوسع من نطاق « المدينة الحرة » الذى نادى به أرسطو فى « سياسته » والذى عبر به خير تعبير عن النظام السياسى الوحيد الذى كان يدركه العالم الهلينى حينذاك .

وإذا كانت بعض المدن الإغريقية قد حاولت أن ترتفع قليلا عن هذا الأفق لتضع نظاماً أوسع ، كأثينا التى حاولت أن توجد نظاماً إمبراطورياً تكون هى سيدته ، فمع ذلك نجد أنها لم تستطع أن تمتد بنظامها هذا الجديد لتشمل به شعوباً أخرى غير شعوب العالم الهلينى .

فلما ظهر الاسكندر ، نظر نظرة أخرى جديدة ، وقام بمحاولة بعيدة عن إدراك الإغريق ، أراد أن يوجد «دولة» تكون حدودها هى حدود العالم المعروف إذ ذاك . فكيف عمل على تحقيق هذه العالمية ، وكيف دبر النظام الذى يستطيع به أن يضمن تناسق أجزائها ، وما مدى تأثير الظروف التى أحاطت بالعالم إذ ذاك فى هذا النظام ، وأخيراً ما مقدار نجاحه فى تحقيق فكرته ؟

نظر الاسكندر حوله فوجد بين يديه فتوة وقوة يستطيع بها أن يناضل وأن يتغلب ، ووجد العقبة الوحيدة التى قد تعترض طريقه ، وهى الإمبراطورية الفارسية ، قد تفككت وأصبحت على شفا الانهيار ، وإذن فليحقق عالمية عن طريق إمبراطورية يكسبها بسيفه ، وليجمع بين الشرق والغرب فى نظام يكون هو على رأسه ، وهكذا يسيطر الاسكندر على آسيا الصغرى وسوريا وفينقيا ومصر ، ثم يتوغل فى آسيا حتى يصل إلى شواطئ المحيط ، ويود الوصول إلى الشواطئ المقابلة لولا أن تعاجله منيته .

عمل الاسكندر إذن على أن يوجد « المادة » التى سيطبق فيها نظامه العالمى ، ثم انتقل إلى دور آخر ، هو تطبيق النظام نفسه ، وهنا تقابله المشكلة ، فلكى يضمن تحقيق فكرته لابد أن يسيطر بنفسه على إمبراطوريته ، ولكن إذا كانت هذه السيطرة الإمبراطورية مما يتفق ونظم الشرق ، الذى جرب قبل ذلك نظام الإمبراطورية تحت سيطرة الفراعنة والفرس ، فهى مما يتناقض تناقضاً تاماً مع نظام المدينة الذى درج عليه الهلينيون والتى قامت على أساسه الحضارة الهلينية .

وإذن فالاسكندر أمام مشكلة ، إن وضع نظامه على أساس المدينة الحرة فقد ضاعت سيطرته ، وضاعت بالتالى فكرته الأولى التى يرمى إليها من وراء هذه السيطرة ، وهى العالمية . وإن قضى ، فى سبيل سيطرته ، على نظام المدينة الحرة ، فقد قضى على الحضارة الهلينية التى قامت على هذا النظام ، والتى كان يرمى قبل كل شىء إلى أن تسود « عالمه » الجديد .

محمد بهجت

لأن عواطفه تكشف له عن الحقائق المخبوءة تحت ستر المظهر الخارجى ، وعلى كل حال فالقاعدة الوحيدة فى الفن هى أن تنسخ من الطبيعة ما تراه . ويرى المشتغلون بجمال الفنون أن أية قاعدة مغايرة لهذه يكون مآلها إلى البوار ، فليس ثمت من طريقة لتحسين الطبيعة ، والأمر الوحيد هو أن ترى . آه ، حقيقة أنه ليس فى مقدور رجل من أوساط الناس ممن ينسخون الطبيعة أن يأتى بعمل فنى لأنه فى الواقع ينظر ولا يرى ، ولو أنه استطاع أن يتتبع كل دقائقها بانتظام لجاءت النتيجة تافهة لا خطر لها ، ولكن لم تخلق مهنة الفنان لأوساط الناس الذين لا يمكن أن يكتسبوا مواهب حتى من أجل النصائح والإرشادات .

فالفنان — على نقيض ذلك — يرى بمعنى أن عينه المركبة على قلبه تقرأ عميقاً فى أغوار الطبيعة ، وهذا يفسر السبب الذى يجعل الفنان لا يعتمد إلا على عينيه فقط » .

(للكلام صلة)

فليفكر الاسكندر إذن فى طريقة يسيطر بها على إمبراطوريته دون أن يقضى على الأساس الأول لحضارة الهلينية ، طريقة يجمع بها بين « ملكية » الشرق و« مدينة » الغرب .

وهنا يلجأ الاسكندر إلى خير طريق يربط بين النظم والأفكار على اختلافها وتباينها ، ذلك هو الطريق الديني . ليسبغ الاسكندر على نفسه سمة دينية مقدسة ، يجمع بها بين سيطرة الشرق والغرب، الذى تشغل الأفكار الدينية فيه إذ ذاك المقام الأول ...

وهكذا يسعى الاسكندر إلى أن تكتسب سيطرته شكل الحق الإلهى ، بل أكثر من ذلك أن يصبح هو نفسه إلهاً .

وهكذا نراه يحج فى مصر إلى معبد آمون حيث يحصل على اعتراف من الكهنة بإنه ابن الإله « آمون » ، ولآمون إذ ذاك مكانته سواء فى مصر أو فى العالم الاغريقى ، الذى أخذ فى ذلك الوقت يضعه فى مصاف آلهته الكبار .

ثم نراه مرة أخرى فى فارس يحيط نفسه بهالة كثيفة من الطقوس الدينية ، والمراسيم التى تقدم إلى النار القريبة من عرشه ، والتى تمثل فكرة الحق الإلهى للملك .

هذه محاولة للعالمية قامت فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد قضت بقضاء صاحبها ، فهل تنجح محاولات العالمية فى القرن العشرين ؟

لطفى عبد الوهاب

تساؤل واستفهام ؟

قرأت معجم الأدباء لياقوت الحموى وهو المعجم الذى قامت بطبعه دار المأمون . وبعد البحث والاستقصاء لفت نظرى خلوه من كثير من الشخصيات ، إذ قد وجدت أن نخبة صالحة من الرجال البارزين لم تذكر فى هذا المعجم . فإما أن تكون قد ضاعت من الأصل — وهو احتمال ضعيف — وإما أن يكون ياقوت قد أغفلها ، وهذا هو موضوع التساؤل .

لقد كان فى جملة من أغفل ذكرهم من الشعراء والأدباء شخصيات مختارة أمثال حسان بن ثابت والحطيئة والأخطل والكميت وجرير وبشار والبحترى وأبى تمام والمتنبى وابن زيدون وعمر بن أبى ربيعة وابن الرومى وابن المعتز وأبى فراس ومسلم بن الوليد (وقد ذكر ترجمة ولده سليمان) ، ومن الأدباء والرواة والفلاسفة أمثال الحسن البصرى والرئيس ابن سينا وابن سيرين والامام أحمد والامام أبى حنيفة والامام مالك والبخارى ومسلم وعبد الحميد الكاتب والنزالى والفارابى والرازى والأصمعى وأبى بكر الخوارزمى وابن الزيات وعلى بن الفرات وعمرو بن مسعدة وابن خفاجة والفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والحسن بن سهل واسماعيل بن صبيح والحسن بن وهيب وبنى موسى بن شاكر وأبى الحسن الأشعرى والوزير محمد بن على بن مقلة (أشار ياقوت فى ترجمته لأخى الوزير الحسن بأنه سيذكره فى بابه ولكنى لم أعثر على ترجمة له) وعبد الله ابن قتيبة (ذكر ياقوت ترجمة لولده أحمد) وابن المقفع ويعقوب بن اسحاق الصباح الكندى ومالك بن دينار والقاضى الفاضل وغيرهم ممن يصعب حصرهم فى هذه العجالة . فى حين أنه ترجم لشعراء كثيرين منهم الفرزدق وصريع الغوانى وأبو دلامة وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم ممن هم دون من أغفلهم شهرة ومنزلة ، وهنا موضع التساؤل ؟

إذا فرض أن ياقوت قد أغفل ذكر هؤلاء أو قسما منهم فاهو يا ترى السبب الذى حمله على إغفال أمثال هذه الصفوة المختارة ؟ وما هو السر فى ذلك ؟ وهل من الجائز أن يقال إنه تعمد عدم الترجمة لهم أو لقسم منهم لأسباب ودواع تمت إلى سياسة حكام عصره ومسايرة ميولهم؟ تلك الميول التى ربما كانت لا تحبذ الترجمة لأحد من أولئك ؟ وإذا كان كذلك فاهى تلك الميول، وهل كانت ظاهرة، أو مستترة ؟ وما هى الدوافع لها ؟ وإذا قال قائل إنه اقتصر فى معجمه على شخصيات الأدباء فقط ، فأقول إنه ذكر كثيرين ممن اشتهروا بالشعر دون غيره كما مر آنفاً . وقد ترجم للامام الشافعى كما ترجم لأناس اشتهروا بالعلوم الفقهية والنحوية ، أو فى اللغة والقراءة . فهل لا يرى رجال الأدب اليوم أن إغفال ياقوت ــ إذا صح ــ لمثل تلك الشخصيات يعتبر نقصاً كبيراً فى قيمة معجمه الأدبية ، أو على الأقل إهمالا من ياقوت وغمطاً لحقوق أولئك

الرجال ؟ وهو ما لايجب أن يتصف به كاتب أخذ على عاتقه تدوين حياة النـاس . وإذا كان ياقوت قد قال إنه جعل معجمه قاصراً على من اشتهروا بالأدب ؛ فما هو القياس الذى يقيس به ياقوت الرجل ليكون أديباً فى نظره ؟ وما هو معنى الأدب عند ياقوت ؟ وعلى أى شىء يشتمل ؟ وهل إن الوراقين أو بعضهم – وقد حشرهم ياقوت فى زمرة الأدباء – يعتبرون من الأدباء فى العصر الحاضر ؟

هذا بحث مقتضب جاء على عجل ، إلا أنه لا يخلو من حقائق كما أنه لا يخلو من غوامض تريد من يزيح الستار عنها . فإلى أدباء العصر ولا سيما من عرفوا ببحوثهم القيمة واشتهروا بتحقيقاتهم العلمية والأدبية الثمينة أوجه قولى هذا راجياً أن يتفضلوا بكشف النقاب عما خفى واستغلق ولهم على ذلك شكر التاريخ وثناء الأدب والله الموفق .

(الزبير — البصرة) احمد محمد آل صالح

شرح لامية العجم ، سحر العيون ، نزول الغيث

تعليقاً على مانشره العلامة المحقق الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فى صفحة ١٨١ من « البريد الأدبى » للرسالة الغراء بعددها ٦٠٧ بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ تحت عنوان شرح لامية العجم — لم أقف على لمصنف المذكور لصلاح الصفدى مطبوعاً فى بولاق والذى أعرفه من طبعاته المتداولة طبعة معوض فريد (المطبعة الوطنية) بالاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ وأخرى طبع المطبعة الازهرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ[1]

أما كتاب « سحر العيون » المنسوب لأحد تلامذة شهاب الدين أحمد الحجازى الشاعر المصرى أحد علماء القرن التاسع فمطبوع طبعة حجر بمصر سنة ١٢٧٦ هـ

ومن بواعث الأسف أن « نزول الغيث » لابن الدماميني لايزال مخطوطا وتوجد منه أكثر من نسخة بدار الكتب المصرية

فلعل هذا التعليق يهم المتتبعين لحركة النشر من قراء الرسالة الغراء ، ومن الخير أن يدوّن للحقيقة والتاريخ .

يوسف كركور

(١) ومن هنا الكتاب نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية

شكر وتعليق

قرأت فى « الرسالة » الغراء مقالاً للناقد الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن كتابى « محمد عبده » الذى ظهر منذ شهور فى سلسلة « أعلام الإسلام » فوددت أن أوجه إلى الناقد الفاضل أحسن التحية للروح الجميلة التى أملت عليه مقاله الكريم الذى خصنى فيه بكلمات طيبات ، مما شاء له أدبه الجم وفضله الموفور . ووددت أن أنوه أيضاً بسماحته وإنصافه ، وهما خصلتان شريفتان من بين خصال أخرى محمودة تجلت فى نقده لكتابى .

والواقع أن ما أورده صديقنا الأستاذ من ملاحظات على كتابى هو الحق الصريح البرىء من الشبهات ؛ وليس يسعنى هنا إلا أن أهنئه على ما حباه الله من حدس صائب وذوق سليم .

غير أن لى تعليقاً على ملاحظتين وردتا فى ثنايا المقال ، وأرجو من هذا التعليق أن أبين الحقيقة فيما يتصل برسالة لى عن الأستاذ الإمام كتبتها أثناء بعثتى بأوربا ، وقدمتها إلى السربون لنيل الدكتوراه فى الفلسفة من تلك الجامعة ، وتقوم وزارة المعارف المصرية بطبع تلك الرسالة وستظهر قريباً باللغة الفرنسية . وقد ظن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن كما ظن غيره أن كتابى عن « محمد عبده » فى سلسلة أعلام الاسلام موجز لرسالة الدكتوراه ، والواقع غير ذلك : فإن عنايتى فى رسالتى الفرنسية كانت موجهة كلها إلى « آراء محمد عبده الفلسفية والدينية » ، وبعبارة أخرى إلى فلسفة الأستاذ الإمام ومذهبه فى الدين والأخلاق والاجتماع . ولم يظهر من هذا البحث بالعربية إلا فصول مختصرة قلائل نشرت فى « الرسالة » و « الثقافة » و « مجلة الأزهر » و « مجلة العلوم » أما « محمد عبده » فى « أعلام الإسلام » فقد كتب خصيصاً لهذه السلسلة ، ولم أقصد منه إلا إلى التعريف بسيرة الرجل كما كان ، لا كما يريده بعض الناس أن يكون . وهذا ما أدركه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، وكشف عنه بإشارات ألمعية وبيان نقاد . وما أحسبنى إلا قد انتهجت لهذه الغاية طريقا سويا مفتوحا لا عوج فيه ولا يحوجنا إلى بدعة « المفاتيح » هذه التى يجرى وراءها بعض « المحدثين » فى هذه الأيام .

أما ما استدركه الأستاذ الناقد من أننى لم أشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهدت بهم ، فاستدراك ينصب لا على كتابى وحده ، بل على أكثر الكتب التى ظهرت الى الآن فى سلسلة « أعلام الإسلام » : لأن المجال أمام المؤلفين ضيق محدود ، وهم كما رأى الأستاذ نفسه ، « مقيدون بقدر الصفحات لا يتعدون حدوده » . وأنا أؤكد لصديقى عبد الغنى حسن أن هذا القيد الذى أشار اليه كان أثقل على نفسى من أى شىء سواه .

أما ما لاحظه الأستاذ عبد الغنى من ورود بعض الأعلام بالحروف الأول دون ذكرها كاملة فرجعه إلى أن تلك الأسماء إنما أوردتها كما هى فى نصوص من كلام محمد عبده نفسه ، ولم يكن يسعنى أن أغير فيها ما دمت أنقلها اقتباسا (وقد وضعتها بين أقواس صغيرة إشارة إلى هذا) ، ولم يكن ثمة حاجة ملحة للكشف عنها لأنها أسماء أشخاص مغمورين ممن لا خطر لهم وإن كانوا من أصحاب المناصب الكبيرة . وعندى أنه كان من الميسور إغفال أسمائهم بالمرة ، دون أن يؤثر ذلك فى سياق الكلام أو يقلل من مغزى الرواية .

وأود أخيراً أن أوجه خالص الشكر إلى صاحب « الرسالة » الذى هيأ لنا هذه الفرصة الممتعة للوقوف على مثال طيب من النقد النزيه الصادر عن خلوص النية وسداد النظرة وصدق الشعور .

عثمان أمين

الحومانى فى فلسطين

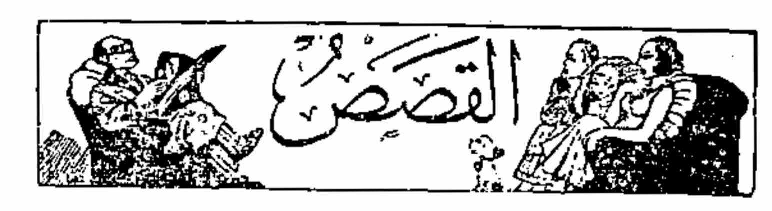
هبط فلسطين منذ أيام الأستاذ محمد الحومانى صاحب مجلة (العروبة) فى بيروت ، وناظم ديوان (حواء) ، وناقل رسالة الأدب العربى إلى أمريكا . وقد احتفل به جماعة الأدباء فى يافا ، وألقى مختارات من شعره فى قاعة المعهد البريطانى هناك . وأقامت له اللجنة الثقافية فى جمعية الشبان المسيحية فى القدس حفلة دعى اليها جمهور غفير من المثقفين ، وأنشدهم فى نهايتها كثيراً من قصائده العصماء .

حول كتاب « الفاروق عمر »

لا نريد أن نعرض هنا لتقريظ كتاب « الفاروق عمر » لسعادة الدكتور هيكل باشا ، ولا لنقده ، فذلك أمر لم يحن حينه ، وإنما نحب أن ننبه إلى وهم لغوى وقع فى عنوان الكتاب ، ذلك أن أصحاب اللغة من بصريين وكوفيين ، نصوا على أن الإسم يتقدم على اللقب فى جميع الأحوال ، فيقال : « عمر الفاروق » ولا يقال « الفاروق عمر » .

ويبدو أن الكاتب الكبير قاس اسم مؤلفه الجديد على اسم الكتاب السابق له المعنون « الصديق أبو بكر » ولا قياس فى هذا ، حيث لم تنص كتب اللغة على الترتيب بين اللقب والكنية كما نصت على الترتيب بين الاسم واللقب . ولعل سعادة الدكتور هيكل باشا يتدارك هذا الأمر فى الطبعة الثانية من الكتاب ، وفقه الله .

(الرمل) **منصور جاب الله**



التعـــس . . . !

أقصوصة روسية

الأستاذ عبد اللطيف النشار

لست أعرف لماذا يعتقد كثير من الناس أن المقادير تعنى بحظوظ الملوك والأبطال لا بالرجال العاديين ، وأن الرجال العاديين لاشأن للأقدار بهم كأنها لا تلحظهم

لم يكن بطل هذه القصة من الملوك ولا الأبطال ، ولكن الأقدار لم تكن فى عناده أقل حرصاً على الانتصار منها فى عناد « أوديب » الملك ، حتى لقد يظن المرء أنها تركت كل مشاغلها وتفرغت « لإيجور شيمو دانوف » مدة الثلاثين عاما التى قضتها فى حرب معه .

ولد « إيجور » لأبوين غير معروفين لأنه لقيط . وكان مولده فى قرية من قرى سيبريا . وترك عند باب تاجر من أغنياء التجار اسمه « إيجور » ومن ثم أطلق عليه هذا الاسم ، وكان فى الأعوام الأولى من حياته سعيداً تهيأ له من أسباب الرفاهية مالا يتهيأ أوفر منه لابن أمير .

وكان التاجر الغنى وزوجه يقصران عنايتهما عليه حتى استثارا بذلك حقد الأقارب وحسدهم ، فألبساه الحرائر وأطعماه الشهى ونادياه بأحب الأسماء ، وامتلأ الطفل والتف عوده ، ولكن بقيت فيه نعسة بسبب الزيادة فى الطعام . وهكذا ظل طول عمره ممتزج اليقظة بشىء من النعاس

وكان شعره أصفر ناعماً وقوامه ممتلئاً قصيراً . ولكن سحنته مازالت تقل كلما كبر حتى صار هزاله محزناً فى أخريات أيامه

لما بلغ السابعة من العمر مات اللذان تبنياه موتاً شنيعاً إذ تحطمت بهما عربة القطار، ولم يشك أحد فى أنه ابنهما وكانت هذه النكبة أول حلقة فى سلسلة أحزانه

وكان أول ما فعله ورثة التاجر أن جردوا « إيجور » من ثيابه الحريرية وطردوه من المنزل . ولقد كان الموت مقدوراً عليه فى الطريق لولا أن رحماء آخرين أخذوه من الطريق فأرسلوه إلى الإصلاحية .

ولم يكن الطفل مذنباً ولكنه لم يكن هناك مكان يؤويه غير هذا المكان ، وهكذا كان أمر القادر . ولقد قبل الطفل هذا الانتقال من السعادة الكاملة إلى الشقاء الكامل بنفس وطنها على الذلة ، وهناك عرف الضرب كما عرف الجوع ، وحتى لصا فلم يغضب لشىء من ذلك ولم يتمرد ، بل بدأ يستثمر الحب لهذا المكان ويخلص بقلبه لأولى الأمر فيه . ونسى سعادته الماضية كل النسيان فلم يعد يتألم من حالته الجديدة حتى ولا فى معرض الذكرى

ولعل المقادير رأت فى هذا السلوان شيئاً من السعادة فأنكرته عليه . وذلك أن النار شبت فى الاصلاحية ذات ليلة من ليالى الشتاء فاحترقت المديرة وأبناؤها الثلاثة ونجا « إيجور » بعد أن تعرض للموت . وكان حاضراً فى وقت إطفاء الحريق رجل من رعاة الغنم فأصر على يأخذه معه لأن البناء أصبح غير صالح للسكنى

وقال إيجور لراعى الغنم وهو ذاهب معه : « لعلهم سيجددون بناء « الإصلاحية ؟ » وكان يقول ذلك وهو يبكى فأجابه الراعى لاتخف فان بناءها سيعاد »

وأخذه إلى مدينة « سمارا » ولم يلحظ الدافع الذى حدا بالطفل إلى القاء هذا السؤال . ولقد كان الدافع فى الحقيقة هو عزمه على العودة بعد تجديد البناء . وهذا عمل لم يعمله انسان من قبل ، بل المعهود ان كثيرين قد فروا من الإصلاحية ولم يتطوع أحد بالذهاب إليها . ولكن هذا العزم يدل على مزاجه الخاص الذى ساعده على احتمال ما أصابه من الحوادث . ولقد كان الطفل بغريزته عدواً للتمرد فأنكر على نفسه الفرار من الراعى ليذهب إلى سجن الأطفال ، ولكنه راجع نفسه فى ذلك بأن ذهابه إلى السجن كان بدافع آخر هو الاستسلام للقدر الذى قضى عليه بأن يعيش فى السجن

وفر الطفل من سمارا ثلاث مرات عاد فيها إلى سيبريا . ولكنه ضبط مرتين وضرب ضربا مبرحا ، ونجا فى المرة الثالثة ، ولكنه ضل الطريق فى مجاهل سيبريا . وعلى الرغم من ذلك فان الأخطار والمتاعب لم تغفل عنه فقد كان الدب يطارده فى الغابة ، وقطاع الطرق يهاجمونه فى الطريق ، والأشرار يعتدون عليه فى

المدن . وكان إيجور يجوع أحيانا ليشترى « باقة » ويخشى على ثيابه أن تمزق ولهذا كان يفر من طريق الأشرار . وكان شريفاً على الرغم من إقدامه على سرقة الثياب مادام فى حاجة اليها ولا يملك ثمنها ، ولم يكن يعد هذا ذنباً .

ولما اعتاد هذه الحالة انطفأت نار شوقه إلى الاصلاحية وظل ينتقل من مدينة إلى مدينة حتى إذا بلغ السابعة عشرة وجدناه فى تفليس عاملا فى مصلحة التلغراف وكان مغتبطاً بهذه الوظيفة التى أهله لها حسن ملبسه وظل نظيف الثياب فى الأعوام الثلاثة التى كان فيها مثالا لحسن الخلق والمعاملة . وشعر فيها السعادة التامة الماضية حتى كأنه قد نسيها

ولما بلغ الحادية والعشرين صار من دأبه التغنى بأنشودة غرامية نسمعته فتاة ووهبته قلبها . ومن هذا العهد ظهر سوء الحظ مرة أخرى وكأنه كان مختفياً ليظهر فجأة بشر مرعب ، فلقد ماتت هذه الفتاة بالجدرى . وعلى الرغم من أن إيجور كان مطمئنا لكل هذه الحوادث فقد بدا أثر الحادث الأخير على وجهه فأفقده رواءه وارتسم عليه الهم والألم. وفى خلال هذا العام التحق بالجندية وكان يكره البحر وأسفاره ولكنه عين فى فرقة البحريين فى الأسطول واضطر إلى السفر فى البلطيق فأصيب بمرض من أمراض البحر ، وبدلا من أن يعطف عليه الجنود لمرضه صاروا يضحكون منه . وانقضى عامان كانت السفينة فى خلالها راسية على بعض شواطئ أفريقيا ، وكان أهل هذه الجهة من السودانيين الذين لايعرف إيجور شيئا من لغتهم ، ولم يكن معه مال ليعيش معهم ولكن هكذا شاء القدر أن يهرب من السفينة ويشرد فى تلك المجاهل

ولم يزل يمشى حتى وصل بعد ثمانية عشر شهراً إلى القاهرة فتجددت له السعادة ، لأن القاهرة خير مكان يستطيع أن يعيش هادئاً فيه . وتزوج واشتغل صانعاً فى أحد المعامل ، ولما كان قنوعا فقد اقتصد جزءاً من المال وعزم فى النهاية على فتح حانوت لصنع الأحذية ولكن قبل أن ينفذ هذا العزم اعتقل صاحب المصنع وصودرت أمواله بسبب إفلاسه . وكان إيجور قد حفظ أمواله عنده فصودرت أيضاً .

فى ذلك اليوم هرب إيجور من القاهرة ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد ومن صناعة إلى أخرى كاليهودى التائه ، وركب البحر ثلاث مرات فغرقت السفن ونجا . وعلى الرغم من ذلك فقد ظل مطمئنا كأن الذى أصابه ليس إلا حوادث عادية يتعرض لمثلها كل إنسان .

وأخيراً وصل إلى نابولى فأخذ يبيع بها السلع متجولا . ومن هناك سافر إلى سويسرا وكانت لغته قد أصبحت مزيجاً من الروسية والعربية والإيطالية . وألف هذا النوع من الحياة وأمهله القدر فصار لايتعرض لأخطار جديدة وأيسر وبدا اليسار عليه .

ولكنه لم يكن قد تعود هذه الحالة فتاقت نفسه إلى المخاطر ليتعرض لصدمات الأقدار ، فبدا فى نفسه نزوع وحنين إلى ماضيه المستهدف ، وان شئت فقل إنه أصبح فى حالة عقلية قلقة بسبب الراحة التى لم يعتدها . وبالرغم من مقاومته نفسه فقد عجز عن كبح عزمه على العودة إلى مجاهل افريقيا حيث تلفحه الشمس المحرقة ويتعرض لأذى الزنوج والحيوانات المفترسة

وسافر من مرسيليا على ظهر سفينة الى الجزائر فغرقت السفينة على مسافة قليلة من الشاطىء الفرنسى فأعيد الى باريس . ولكن ماالذى يفعله الباريسيون بمخلوق تعس كهذا ...؟

وضعوه فى معرض وكتبوا على قفصه «مخلوق تعس» وصار الأغنياء والأطباء والمفكرون يذهبون ليسمعوا منه قصته ويروا شكل جمجمته الصغيرة وعينيه الضيقتين ليصلوا إلى تعليل لتعاسته . ولكن كان ذاك على غير طائل

واستفاد إيجور من هذا العرض مالا كثيراً فعزم على استئناف العمل وعاد يعمل ويقتات . ولكن القدر أبى عليه أن يستريح فتشبثت بذهنه فكرة لم يستطع إلا تحقيقها وهى أن يعود الى سيبريا فيبحث عن أمه المجهولة ، فعاد ، ولما وصل إلى روسيا كانت الثورة قد نشبت فجردته من أمواله عصابات اللصوص وألقته فى خندق . وأبى عليه حظه أن يموت فيستريح ومن أجل ذلك نجا بأعجوبة واستأنف تجواله ، ولما وصل الى القوزاق اشتغل كاتباً وكادت الراحة تعرف طريقها اليه ولكن التفكير فى أمه لم يتركه . ولذلك سافر إلى سيبريا

ولما وصل إلى البلدة التى ولد فيها كان قد بلغ الثلاثين من العمر ، وفى يوم وصوله وكان جواز السفر الذى ابتاعه من موسكو قد باعه إياه رجل اتضح انه مجرم سياسى محكوم عليه بالاعدام — فى يوم وصوله وقع هذا الجوازفى يد الحكومة فأعدمت «إيجور» بغير تحقيق ... اعتقاداً منها بأنه ذلك المجرم السياسى

وهكذا شنق إيجورفلم يبكه صديق أو قريب ولم يذكره ذاكر ، وهل يذكر الناس من ضحايا الأقدار غير الأبطال والملوك ؟

عبد اللطيف النشار



فيلم «أحب البلدى»

تأليف وإخراج حسين فوزى

إنتاج شركة أفلام الشباب

القصة

قامت فكرة القصة — إن كانت لها فكرة — على أساس الاشادة بطبقة (أولاد البلد) والتنديد بالطبقة (الراقية) تنديداً أحسب أنه لايتفق مع الواقع فى كثير ولا فى قليل. ولست أدرى لماذا يعتمد أكثر المخرجين عندنا على عرض هذه الفكرة بالذات فى أكثر أفلامهم؟! وإن كنت أدرى أن الفن أكبر من أن يستغل فى هذا التملق الرخيص المبتذل، وليس بمعقول أن حياة الطبقة الراقية أو الطبقة الغنية عندنا تنحصر فى (الرجس والخمر والميسر) وحياة (أولاد البلد) كلها (شهامة ورجولة وكرم)، وإنما المعقول أن لكل طبقة — على وجه الأرض — مزاياها وعيوبها، وأعتقد أنه من الخير لأهل الفن فى مصر أن يدعوا هذا التهريج الأجوف ويعملوا للفن وللفن وحده حتى يمكن أن يوجد عندنا نهضة فنية صحيحة.

الإخراج

حفل الاخراج بفجوات متعددة فى أغلب المشاهد. مثال ذلك:

أقام (عادل) حفلة خيرية لجمع التبرعات لمساعدة (الأسطى ابراهيم)، ولم يحضر هذه الحفلة إلا نفر قليل من أبناء البلد. فكيف تسنى له أن يحصل على ثمن (جوز خيل) مع أن أى تبرع لم يزد عن خمسين قرشاً، وكيف هربت (شربات) من المنزل وأين كان أبوها وأين كانت أمها؟! وكيف غادر عادل منزل أبيه مطروداً ولم يتدخل جده فى هذه المسألة؟! وكيف يشفى مريض قرر الطبيب أن مرضه خطير بكلمة (بابا وماما)؟! وكيف تذهب نازك إلى منزل لم تعرفه من قبل ولم تسأل أحداً عن مكانه، وكيف تركها والدها تذهب إلى ذلك المنزل فى منتصف الليل بدون مبرر؟!

وما هو الداعى للمشاجرة التى حدثت فى (الصالة) وكان من الممكن عدم حدوثها بكلمة، وما هو عمل مختار فى (الصالة) وبأى حق يضرب (زبون) ولا يتدخل أحد؟! وكيف عرف (الأسطى ابراهيم) نبأ اشتغال ابنته بالرقص ولماذا لم يمنعها من ذلك إذا كان لايوافق على اشتغالها بالرقص؟! وهناك أخطاء متعددة لا يتسع المجال لسردها فنكتفى بهذا القدر.

التمثيل

قامت تحية كاريوكا بتمثيل دور (شربات) فنجحت فيه، والذى لوحظ عليها أنها عندما كانت تبكى فى بعض المواقف تبدو وكأنها تبتسم، وقام الأستاذ أنور وجدى بتمثيل دور (عادل) فعرف كيف يقوم به على أكمل وجه. وقام الأستاذ محمود المليجى بتمثيل دور (شوكت بك) فوفق على الرغم من أن الدور لا يناسبه. وكذلك وفقت سامية عبد العزيز على الرغم من أنها أصغر من أن تكون «أم عادل» وكذلك نجح الأساتذة: حسن فايق — مختار حسين — كامل الصاوى — أما شكوكو فننصح إليه أن يخفف من (تهريجه) وأما شافية فقد نجحت كمطربة فقط.

الأغانى

أحسب أنهم لم يأتوا فيها بجديد تأليفاً وتلحيناً.

التصوير والديكور والصوت

بدت أكثر المناظر رديئة، ولم يكن الديكور متقناً، ولم يكن الصوت واضحاً.

كلمة أخيرة

أعتقد أن الوقت قد حان ليراجع أصحاب الشركات السينمائية أنفسهم من حيث الطريقة التى ألفوا إخراج أفلامهم بها (أو عليها)، فالمدنية قد قربت، والأفلام العالمية سوف تغرق سوقنا (ناطقة بلغتنا) مقدمة لنا خير الموضوعات لأخلد المؤلفين فما بالنا نحن لا نزال نعتمد على إقحام (الغناء والرقص والتهريج) فى كل فيلم غير مبالين أن يجيء موضوعه تافها، وسياقه مفككا ... مع أن شيئاً من العناية بالقصة والقاص يوفق بين المزاج الشعبى الذى يريده أصحاب الشركات والنجاح الفنى الذى يقاوم — إلى حد — طغيان الفيلم الأجنبى... لكم أتمنى أن يراجع «تجار السينما» فى مصر أنفسهم!!

عبد الفتاح متولى غبن